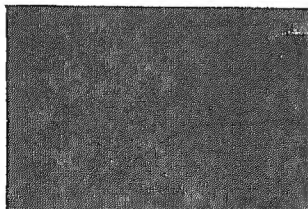
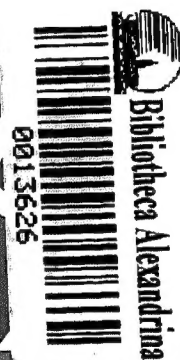
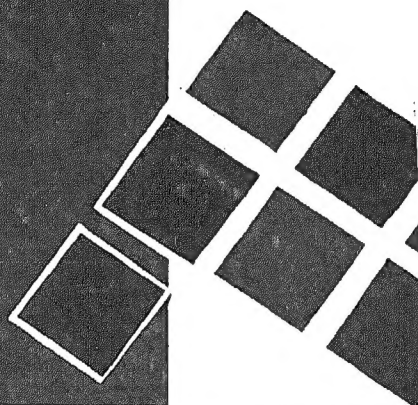
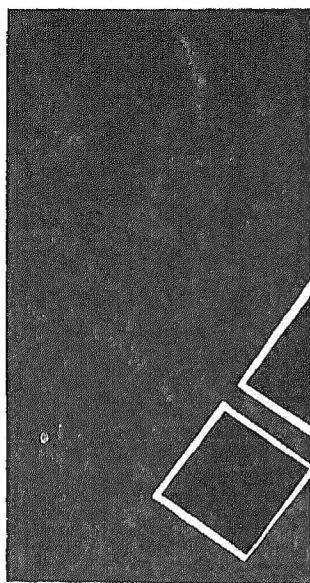
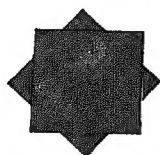


سيف الدين القصير

أبن حوشب

والحركة الفاطمية في اليمن



ابن حوشب
والحركة الفاطمية في اليمن

حقوق الطبع محفوظة

دار الينابيع

«الطباعة والنشر والتوزيع»

دمشق ص.ب: 6348

☎ 3324914

☛ التوزيع في لبنان:

دار القارابي

بيروت - ص.ب: 11/3181

☎ 305520

☛ التوزيع في مصر:

دار النهر

20 ش الطويحي - خلف مرور الجيزة

ت - فاكس 3489018

• الإخراج الفني: مي مكارم

أبن حوشب

والحركة الفاطمية في اليمن

سيف الدين القصير

تصدير:

هذه الدراسة هي في الأصل رسالة مقدمة إلى دائرة التاريخ في كلية الآداب والعلوم في الجامعة الأمريكية في بيروت لاتمام المطلوب للحصول على درجة الماجستير في تاريخ العرب والاسلام، ورغم بعد المسافة التي تفصل بين زمن تقديم الرسالة (١٩٧١)، والوقت الحالي، فقد لاحظت أن موضوع الرسالة لم يتم التطرق إليه بشكل صحيح كما كان الأمر مع تاريخ الدعوة الفاطمية في المغرب ومصر والحجاز وبلاد الشام.

وكان لي شرف إعداد هذه الرسالة بإشراف الاستاذ الدكتور محمود زايد، وناقشها كل من الاستاذ الدكتور قسطنطين زريق والدكتور كمال الصليبي، فإليهم جميعاً أسجل تقديري لحسن الاشراف والتوجيه، وأملّي، بهذا الجهد المتواضع، أن أسد ثغرة في تاريخ العرب في القرن الثالث الهجري، وأنحمّل أيّ تقصير في هذا المجال، والله من وراء القصد،

سلمية في ١٥ آيار ١٩٩٣

مقدمة:

إن غالبية الدراسات والبحاث التي نشرت عن التاريخ الفاطمي حتى الآن تتناول الفاطميين بعد قيام دولتهم في المغرب في أواخر القرن الثالث الهجري. ومرد ذلك، في الغالب، غموض دور الستر (١) الذي مرت به الدعوة الاسماعيلية قبيل قيام هذه الدولة. وكان قيام الدولة الفاطمية قد حفز المؤرخين والكتاب الاسماعيليين الاوائل إلى الكتابة عن الفترة التي سبقت قيام دولتهم. مما ألقى مزيداً من الضوء على هذه الفترة وأوجد نوعاً من التوازن بين ما كتب بأقلام المؤرخين الاسماعيليين وما دونه المؤرخون الآخرون حول هذه الفترة أيضاً. غير أن معظم المؤلفات والمدونات الاسماعيلية قد فقدت بعد سقوط الدولة الفاطمية في مصر ثم الاجتياح المغولي لقلاعهم في الموت في فارس في القرن السابع الهجري.

وفي العصر الحديث بدأت تظهر بعض المؤلفات الفاطمية التي تتعرض لذكر أحداث الدعوة الاسماعيلية ومجرياتهما قبل قيام الدولة الفاطمية ومن هذه الاحداث ما كان عاملاً مهماً لقيام هذه الدولة، ونعني بذلك الدعوة الاسماعيلية في اليمن. فهذه الدعوة التي قامت على اكتشاف ابن حوشب ومساعدته ابن الفضل في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري كانت الدولة الأولى التي نجح دعاة الفاطميين في إنشائها قبل قيام الدولة الفاطمية في المغرب، وكان مقدراً أن يظهر المهدي الفاطمي في اليمن لولا ظروف وعوامل داخلية حالت دون ذلك.

وعلى الرغم من أهمية هذه الدعوة وأثرها في مجرى أحداث التاريخ الفاطمي العام، وأهمية شخصية صاحب الدعوة، ابن حوشب، إلا أن أحداً من المؤرخين

المحدثين لم يحاول جعلها موضوعاً لدراسة علمية وافية، والبعض الذي تعرض لذكرها اكتفى بالإشارة إلى تقدمها زمنياً على الدولة الفاطمية في المغرب.

وقد دفعنا هذا إلى إعداد هذه الدراسة على الرغم من الصعوبات التي واجهناها في جميع المعلومات. فهناك كثير من المصادر والمراجع الأولية وكتب السير والتراجم لم تتعرض للذكر ابن حوشب ودعوته إلا بشكل عرضي، وحتى المؤرخين المحدثين (٢) المعيّنين بالتاريخ الفاطمي لم يفرّدوا لهذه الدعوة سوى صفحات قليلة.

أما مصادر هذه الدراسة فمتنوعة، وهي تشمل مراجع أولية فاطمية وغير فاطمية منشورة ومخطوطة، ومراجع ثانوية عربية وأجنبية وبعض المقالات (٣). ولعل كتاب القاضي النعمان بن محمد (ت - ٣٦٣ هـ)، رسالة افتتاح الدعوة، من أهم المصادر الفاطمية التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، فالمعروف أن القاضي النعمان هو من أشهر فقهاء المذهب الاسماعيلي، وأنه عاصر أربعة من الأئمة الخلفاء الفاطميين في المغرب (٩٠٩/٢٩٧ - ٩٧٣/٣٦٣) كما أن له مؤلفات في الفقه والعقائد الاسماعيلية. ويبحث الكتاب في قيام الدولة الفاطمية في المغرب، ولكنه يتطرق في البداية إلى انتشار الدعوة الاسماعيلية في اليمن على يد ابن حوشب. وقد أفدنا من هذه المقدمة كثيراً لأنها تقدم معلومات هامة عن لقاء ابن حوشب بالامام الاسماعيلي المستور، الحسين بن أحمد، وقصة اعتناقه للمذهب الاسماعيلي، ثم إعداده للذهاب إلى اليمن مع علي بن الفضل للقيام بالدعوة هناك (٤) كما أن في الكتاب إشارة إلى علاقة خروج محمد المهدي من سلميه إلى المغرب وهرب أحد دعاة إلى اليمن بخروج علي بن الفضل على الدعوة وثورته عليها (٥). وفيه، فضلاً عن ذلك، معلومات قيّمة حول شخصية ابن حوشب وأصله ونسبه (٦) وكذلك شخصية زميله في الدعوة علي بن الفضل (٧). وقد اعتمد مؤرخون لاحقون الروايات التي وردت في هذا الكتاب بشكل أو بآخر (٨).

ويأتي كتاب الداعي ادريس عماد الدين (ت ٨٧٢ هـ)، عيون الأخبار، في المرتبة الثانية من حيث الأهمية. وهو مخطوط يقع في سبع مجلدات ضخمة

تتناول التاريخ الاسماعيلي منذ فجر الدعوة وحتى عهد المؤلف. وهو من المراجع الهامة عن تاريخ الدعوة الاسماعيلية لأن المؤلف نفسه كان من كبار دعائها في اليمن. ويورد المؤلف في الجزء الرابع من هذا الكتاب معلومات مفصلة تخص الدعوة الفاطمية في اليمن في القرن الثالث الهجري وكذلك أئمة دور الستر وأنسابهم (٩). ويتضمن ذلك الحديث عن دعوة ابن حوشب في عهد الامام الحسين بن أحمد (١٠). ومعلوماته المتعلقة بأئمة دور الستر لم ترد عند غيره ممن رجعنا إليهم، أما ما يورده حول ابن حوشب ودعوته في اليمن فإنه ينقله عن المصدر السابق للقاضي النعمان (١١).

وللمؤلف الداعي ادريس كتاب آخر بعنوان زهر المعاني يبحث في مواضيع عقائدية اسماعيلية، إلا أنه توجد فيه إشارات إلى نسب المهدي (١٢) وإلى شخصية ابن حوشب ونسبه أيضاً (١٣) وهي إشارات لا تختلف عما أورده في كتابه السابق.

ولشمس الدين احمد الشرفي (ت. النصف الثاني من القرن ٩هـ) سفر ضخيم يؤرخ للدعوة الزيدية وأئمتها في اليمن منذ نشوئها وحتى عصر المؤلف، بعنوان اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية، ويورد المؤلف، وهو من الزيدية، في الجزء الثاني من هذا الكتاب معلومات مفصلة حول الدعوة الفاطمية في اليمن ونشاط دعائها هناك وخاصة فيما يتعلق بنشاطات واعمال ابن الفضل (١٤). ويمكن اعتباره من المراجع اليمنية الهامة في هذا الموضوع لأنه ينقل عن مصادر بعضها لم يُنشر بعد ومعلوماته أكثر تركيزاً من معلومات وردت عند مؤرخين يمينيين آخرين مثل يحيى بن الحسين وابن المؤيد.

إذا كان افتتاح الدعوة للقاضي النعمان من أهم المصادر الاسماعيلية حول الدعوة في اليمن، فإن كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة للحمادي اليماني (ت. بعد ٥٤٥٠هـ) هو من أهم المصادر اليمنية غير الاسماعيلية. والمؤلف فقيه يمني معروف عاش خلال حكم الصليحيين الاسماعيليين لليمن باسم الخلافة الفاطمية في مصر. وكان المؤلف قد دخل في دعوتهم ثم خرج منها بعد مدة ووضع هذا الكتاب. وما يميزه عن كتاب القاضي النعمان هو أنه يعطي وجهة

نظر السنة بالنسبة للدعوة الاسماعيلية في اليمن، ويركّز على دعوة ابن الفضل وأعماله خاصة بعد خروجه على ابن حوشب. كما أنه يعطينا معلومات قيّمة تخص بدء الدعوة وشخصيات أصحابها ثم نهايتها.

ويلى كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك (١٥) للبهاء الجندي (ت ٧٣٢هـ) في أهميته كتاب الحمّادي اليماني، كشف اسرار الباطنية. فالجندي أفاد من الحمّادي ومن غيره من المؤرخين الذين ذكرهم في كتبه مثل اسحق بن يحيى بن جرير، وأبي العباس أحمد الرازي وغيرهما (١٦)، فجاءت معلوماته بخصوص الدعوة الاسماعيلية في اليمن أكثر دقة ووضوحاً في بعض الأحيان من معلومات الحمّادي اليماني. ويلاحظ أن المؤلف يركّز على بحث الدعوة بعد قيامها، وكذلك على أعمال أصحاب الدعوة وفتوحاتهم، كما يشير إلى ثورة ابن الفضل ونهاية الدعوة بشيء من التفصيل (١٧). وقد نقلنا عنه في كثير من صفحات هذه الدراسة.

ويعتبر المقرئزي (ت ٨٤٥هـ) من أكثر مؤرخي الاسلام السنة اهتماماً بالدراسات الفاطمية، ومؤلفاته من المصادر الهامة لهذه الدراسات. والمؤلفات التي عدنا إليها في هذه الدراسة هي كتابيه اتعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، والخطط المقرئزية.

ومن المصادر اليمنية الهامة في هذا المجال كتاب أنباء الزمن في أخبار اليمن، ليعلى بن الحسين بن المؤيد اليمني (ت. النصف الثاني من القرن الحادي عشر هـ)، إذ يبحث الكتاب في تاريخ الدعوة الزيدية ما بين عامي ٢٨٠ - ٣٢٢هـ، وهي الفترة التي شهدت نشاط الدعوة الاسماعيلية ثم نهايتها. وما يورده بخصوص الدعوة التي يسميها بالقرمطية موجز اتبع في عرضه الاسلوب الحولي، ويبدو أنه ينقل عن غيره لكنه قليلاً ما يذكر المصدر الذي يأخذ عنه (١٨). وقد أفدنا منه لأنه يذكر تواريخ الأحداث مما ساعدنا في تحقيق هذه التواريخ بالنسبة للمصادر الأولية التي قليلاً ما تذكر ذلك.

أما فيما يتعلق بالمراجع والدراسات الحديثة حول هذا الموضوع فيمكن القول أن كتاب الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن لحسين الهمداني وحسن

محمود، هو من أهم هذه المصادر التي تطرقت إلى دعوة ابن حوشب وبحث فيها من جوانبها المختلفة. والحمداني من أكثر المؤرخين المعاصرين إطلاعا على مصادر التاريخ الفاطمي في اليمن، كما أنه اطلع على مخطوطات كثيرة حول هذا الموضوع وقد خصص باباً لدراسة دعوة ابن حوشب (١٩) التي سبقت دولة الصليحيين بأكثر من قرن من الزمان. وقد أفدنا من مناقشته لبعض الحوادث في تاريخ دعوة ابن حوشب، خاصة وأن المؤلف يعتمد مراجع أوليه لم يستطع الوصول إليها (٢٠).

وصدر مؤخراً كتابان يصنفان ضمن كتب الدعوة الاسماعيلية، الأول تاريخ الاسماعيلية (٢١) للدكتور عارف تامر، وهو تاريخ عام لهذا المذهب والثاني الاسماعيليون: تاريخهم وعقائدهم (٢٢)، للدكتور فرهاد دفتري بالانكليزية وهو رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة كمبريدج، قدم فيه المؤلف خلاصة جهد دام أكثر من عشرين عاماً، فكانت النتيجة دراسة موضوعية متزنة بأسلوب علمي ناقد. ويجد القارئ في ختام هذه الدراسة قائمة مفصلة بمصادر هذه الدراسة آملين أن نكون قد وفقنا في توضيح جانب من جوانب تاريخ اليمن في العصر الاسلامي.

حواشي المقدمة:

(١) دور الستر هو الدور الذي اختفى فيه الأئمة عن أعين العامة بسبب مطاردة بني العباس لهم. وأول أئمة هذا الدور هو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، وآخرهم محمد المهدي الذي أسس الدولة الفاطمية في المغرب منذ ٢٩٧ هـ.

(٢) المعروف أن حسن إبراهيم حسن وحسين الممداني من أكثر المؤرخين المحدثين إهتماماً بالتاريخ الفاطمي، ومع ذلك فإن ابن حوشب ودعوته لم يشغلا سوى الصفحات ٤٠١ - ٤٠٤ من تاريخ الدولة الفاطمية، و لصفحات ٢٧ - ٤٨ من الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن.

(٣) انظر قائمة مفصلة بهذه المراجع في نهاية هذه الدراسة.

(٤) القاضي النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ هـ)، رسالة افتتاح الدعوة، بيروت دار لثقافة ١٩٧٠، تحقيق وداد القاضي، ص ٣٤ - ٣٨.

(٥) المصدر ذاته، ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٦) المصدر ذاته، ص ٣٢ - ٣٣.

(٧) المصدر ذاته، ص ٣٩ - ٤٠.

(٨) المصدر ذاته، ٢١ .

(٩) عماد الدين ادريس (ت. ٨٧٢ هـ)، عيون الاخبار، ٧ مجلدات، طبع منها الجزئين الرابع والخامس بتحقيق مصطفى غالب، ونشرتهما دار الاندلس (بيروت) ١٩٧٣، ١٩٧٥، أنظر ج ٤، ص ٦٢٠ وما بعدها.

(١٠) المصدر ذاته، ج ٤، ص ٦٢٠ وما بعدها. (١١) المصدر ذاته، ج ٤، ص ٦٢٥،

(١٢) عماد الدين ادريس، زهر المعاني، ص ٢٥٠.

- (١٣) المصدر ذاته، ٢٥٢
- (١٤) شمس الدين أحمد الشرفي، اللآلي المضية في أخبار أئمة الزيدية، ج٢، ورقه ٨٥ - ٨٧
- (١٥) نشره: H.CKay, Omara's History of yemen) London Edward Arnold, 1892(
- (١٦) انظر المقدمة الانكليزية في المصدر السابق، ص ١٤ - ١٥
- (١٧) السلوك، ص ١٤٦ وما بعدها. (١٨) أنباء الزمن، ص ٣٨، يذكر أنه ينقل قصة لقاء ابن حوشب بالامام — عن صاحب بهجة الزمن في أخبار اليمن.
- (١٩) الصليحيون والحركة الفاطمية. ص ٢٧ - ٤٨ .
- (٢٠) أهمها قرة العيون وبغية المستفيد لابن الربيع الزبيدي (٩٤٤ هـ)، والكفاية والاعلام فيمن ولي اليمن وسكنها في الاسلام لابي الحسن الخزرجي (ت ٨١٢ هـ)
- (٢١) عارف تامر، تاريخ الاسماعيلية، ٤ أجزاء، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، Farhad Daftary, The Ismailis: Their History and Doctrines, London, Cambridge university Press. 1991

الفصل الأول

اليمن والحركات الشيعية قبيل ظهور

ابن حوشب

١- دخول الإسلام الى اليمن وبدء علاقة القبائل اليمنية بالحركة الشيعية:

من المحقق أن دخول الإسلام إلى اليمن بدأ سنة ٦٢٨م، أي في السنة السادسة من الهجرة (١). وكانت اليمن حتى ذلك التاريخ تحت سلطان الفرس يحكمها كسرى بواسطة عامل له يدعى باذان (٢). وقد أسلم هذا العامل بعد أن ورد عليه كتاب رسول الله (ص)، وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن، وبهذا دخلت اليمن تحت راية الإسلام.

لكن انتشار الإسلام بقي محدوداً حتى كان مجيء علي بن أبي طالب في سفارة لرسول الله (ص) إلى اليمن، وإسلام العديد من القبائل اليمنية على يديه. ويذكر الطبري رواية منسوبة إلى البراء بن عازب تقول أن رسول الله (ص) بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، وأن خالدًا أقام هناك ستة أشهر وأهل اليمن لا يجيبونه إلى شيء، فبعث النبي علي بن أبي طالب وكان البراء ممن رافقوه في هذه السفارة فقال:

فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له، فصلى بنا الفجر، فلما فرغ صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم

قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قرأ كتابه خَرَّ ساجداً، ثم جلس فقال: السلام على همدان، السلام على همدان! ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام.(٣)

وذكر الجعدي حديثاً بهذا المعنى، فقال:

وأخبرني القاضي أحمد بن علي بن أبي بكر، عن والده كنانة، أن علياً دخل أَيْنَ وخطب فيها على المنبر خطبه بليغة ذكر فيها أن منكم من يصبر بالليل والنهار، ومنكم من يصبر بأحدهما دون الأخرى، وما يؤدي معنى هذا الكلام. قال، وبعض المحدثين يقول عدن لاعة(٤)

وتكمن أهمية هذا الحديث في أنه يشير إلى المكان الذي سيصبح بعد حوالي قرنين ونصف من الزمان مركزاً لانطلاق الدعوة الاسماعيلية في اليمن على يد ابن حوشب، ونعني بذلك عدن لاعة. ولاشك في أن مجيء علي بن أبي طالب إلى اليمن قد عزز مكانته ومنزلته عند القبائل اليمنية، وبخاصة عند قبائل همدان التي ستصبح من أكثر القبائل تحمساً لقضية علي، وتضحية في سبيل نصرته. وقد علق الهمداني على هذه الاتصالات الشخصية لعلي مع قبائل اليمن فقال:

ومما لاشك فيه أن هذه الاتصالات الشخصية لعلي مع قبائل اليمن قد تركت أثراً في نفوس الناس هناك. ذلك الأثر هو حب علي وآل بيت النبي، وبقي هذا الحب يزداد ما بقيت الأيام، حتى أن الامام الفاطمي المستور الحسين بن أحمد، حين أرسل أباه القاسم الحسين بن فرح بن حوشب بن زاذان الكوفي داعياً إلى اليمن أمره أن ينزل عدن لاعة، لأن بها من يدين بدعوته... (٥)

وهكذا نلاحظ أن بدور التشيع لعلي قد زرعهما علي بن أبي طالب بنفسه خلال سفارته إلى اليمن، وأنه أوجد نوعاً من العلاقة المتينة بينه وبين قبائل همدان اليمنية، وأن هذه العلاقة أخذت تنمو وبلغت حداً دفع برجال هذه القبائل إلى التضحية بأرواحهم في سبيل نصرته علي خلال نزاعه مع معاوية على الخلافة(٦). وقد أورد نشوان الحميري أبياتاً شعرية منسوبة إلى علي بن أبي طالب في مديح

قبائل همدان إن دلت على شيء فإنما تدل على مائة علاقة علي بهذه القبائل وتعظيمه لها لما أظهرته من إخلاص ووفاء له ولقضيته (٧). منها مثلاً قوله في همدان:

لو كنت بواباً على باب جنة . لقلت لهمدان أدخلوا بسلام (٨)

وعلى الرغم من تولي أبي بكر وعمر وعثمان الخلافة قبل علي، إلا أن تهذؤر التشيع استمرت متمعة في اليمن (٩). وليس أدل على قوة روح التشيع في نفوس اليمنية من فتنة عثمان (١٠)، والتي شارك فيها أنصار علي من رجال القبائل اليمنية المقيمين في مصر والشام والعراق. وقد انتهت هذه الفتنة، كما هو معلوم بمقتل الخليفة عثمان، وبيعة علي بالخلافة ٣٥/١٥٥م. ثم نرى قبائل همدان اليمنية تحارب إلى جانب علي ضد معاوية في صفين، وكان لهذا الجهاد أثر كبير ساعد على انتشار التشيع في اليمن، كما يرى الهمداني الذي ينقل عن عماد الدين ادريس في نزهة الأفكار قول علي في همدان: «يامعشر همدان أنتم درعي ورمحي، والله لو كنت بواباً على باب جنة لأدخلتكم قبل جميع الناس، وما نصرتكم إلا الله تعالى» (١١). ولعل في قصة البراء بن وريد العذري (١٢) مع معاوية أثناء موقعه صفين مثال على ما أورده الهمداني. وكان البراء يحارب في صفوف معاوية ضد علي، لكنه عاد وترك معاوية بعد أن قام الأخير بمنع الماء عن أصحاب علي، وانضم إلى جيش علي وحارب معه إلى أن قُتل (١٣).

وبمقتل علي بن أبي طالب سنة ٤٠هـ/٦٦٠م اضطر شعبة اليمن إلى التستر والتخفي خوفاً على أنفسهم من اضطهاد عمال بني أمية، وعمال بني العباس من بعدهم، واستمروا في ذلك طيلة الحكم الأموي وحوالي قرن من حكم العباسيين. فقد افتتح معاوية، الخليفة الأموي الأول في دمشق، حكمه على اليمن بإرسال بسر بن أرطاة العمري والياً عليها، وأطلق يده ليعمل على القضاء على الحركة الشيعية هناك (١٤). وقام هذا الوالي بتنفيذ أوامر الخليفة وقتل من الشيعة عدداً كبيراً، منهم ولدا والي الخليفة السابق، علي بن أبي طالب، وشرذ الباقيين مما اضطر الكثيرين منهم إلى التستر والتخفي خوفاً على أنفسهم من موت محقق.

ولما انتقلت الخلافة إلى الامويين، قام هؤلاء بنقل عاصمة الحكم إلى دمشق في الشام. وهذا الانتقال جعل اليمن تصبح أكثر بعداً عن مقر السلطة المركزية، ثم أن الامويين اهتموا بعد ذلك بالفتوحات والأقطار الجديدة، وقلّ اهتمامهم باليمن تدريجياً. وكان من نتيجة ذلك أن تشجّع ذور النزعات الاستقلالية على التفكير جدّاً بالانفصال عن جسم الخلافة. ولكن، ولأن الدولة الأموية لم تعمّر سوىلاً من جهة، ولأن هذه النزعات الاستقلالية لم تكن قد اختمرت جيداً خلال هذا العهد من جهة أخرى، فإن ظهورها قد تأجل إلى العهد العباسي. وكان العباسيون قد نقلوا عاصمة الخلافة إلى بغداد في العراق وأهملوا الولايات العربية بشكل عام، مما سمح بنشوء الدويلات المستقلة ونشاط الحركات الشيعية في اليمن في العصر العباسي الذهبي.

٢- الحركات الشيعية الأولى في اليمن:

يذهب العمري إلى أن الدعوة العلوية في اليمن ظهرت سنة ٨١٥/٥٢٠م، زمن الخليفة المأمون، على يد ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي. (١٥) واستطاع ابراهيم المذكور أن يهزم عامل المأمون الجديد على اليمن، ابن عباس الذي هرب من وجهه، وبقي العلوي يسيطر على جنوب اليمن لمدة ثلاث سنوات حتى مجيء ابن زياد، مؤسس الدولة الزيدية في اليمن، سنة ٨١٨/٥٢٣م. (١٦)

وكان ظهور هذا الحركة في هذا الوقت المبكر ايذاناً بقرب ظهور دعوات شيعية أكثر تنظيماً ووضوحاً من حيث الأهداف والاتجاهات، وذات تأثير كبير في المجتمع اليمني، مثل الدعوة الزيدية، والدعوة الاسماعيلية.

آ- الدعوة الزيدية:

استطاعت هذه الدعوة أن تحقق في اليمن ما لم تستطع ان تحقّقه خلال نشاطها في طبرستان والمناطق الشرقية من بلدان الخلافة الاسلامية في القرن الثاني الهجري. وصاحب هذه الدعوة هو أحد أعقاب الامام زيد بن علي، وأسمه يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسين بن الحسن

بن علي بن أبي طالب، ولقبه الهادي إلى الحق، ويعرف بالرسي نسبة إلى جده القاسم الرسي الذي ترك طبرستان في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وتوفي في المدينة المنورة سنة ٥٢٤٥/٨٥٩م. (١٧)

ويسميه السيوطي ابن طباطبا، وذهب إلى أنه أول من دعي له بأمر المؤمنين في اليمن (١٨). ويذكر بروكلمان أن الشيعة الزيدية كانت قد علقت الآمال على الامام الهادي، بسبب من ورعه وعلمه ونشاطه، في أن يعيد امجاد البيت العلوي الذي ينتسب إليه، ولما وجد هذا الإمام أن تحقيق ذلك متعذرا في طبرستان، وجه نظره إلى اليمن حيث التربة خصبة لدعوته هناك (١٩). وقد سنحت له الفرصة عندما زاره، وهو في الحجاز، وفد من أهالي صعبيه اليمنية (٢٠) سنة ٨٩٧/٥٢٨٤م، وطلبوا منه أن يأتي وينزل معهم في مدينتهم (٢١). ولم يتردد في ذلك، وظهر على أبواب صعده مع خمسين رجلاً من أتباعه في تلك السنة، واستقرّ هناك وأخذ يدعو الناس إلى طاعة آل رسول الله (٢٢). ثم إنه استغلّ الخلافات والحزازات القائمة بين القبائل في تلك المنطقة في سبيل تكوين مجد سياسي له ولدعوته، وفي ذلك يقول بروكلمان:

وكما ساعدت الحزازات القبلية، التي دعي الرسول إلى إزالتها على تدعيم مركزه كزعيم للمدينة، فكذلك وفق الهادي إلى اكتساب عدد متزايد من الاتباع بسبب من الحكومة التي أصلح بها ما بين المسلمين والنصارى في اسقفية نجران القديمة، أولاً، وما بين القبائل الضارية في تلك المنطقة فيما بعد. (٢٣)

وحاول الامام الهادي نشر نفوذه خارج صعده إلا أنه فشل في ذلك بسبب منافسة أمراء الدولة اليعفرية في صنعاء والدعوة الاسماعيلية له ولدعوته، مع أنه دخل صنعاء غير مرة خلال الصراع بين بني يعفر ودعاة الاسماعيلية الذي أمتد من سنة ٩٠٦/٥٢٩٤م إلى ٩١١/٥٢٩٩م، ومع ذلك فإن الهادي استطاع أن يرسي قواعد الدولة على أسس قوية، وازدادت دولته قوة ومنعه على أيدي أبنائه بعد وفاته سنة ٩١١/٥٢٩٨م، بحيث تمكنت من البقاء والسيطرة على اليمن لمدة تزيد على الألف عام، وإليها تنسب العائلة المالكة الزيدية التي أطاح بها انقلاب عبد الله السلال عام ١٩٦٢م (٢٤). ويرى عارف تامر في هذه الحركة عاملاً

ساهم في تفكك الأوضاع اليمنية، ومهد لظهور ابن حوشب والدعوة الاسماعيلية في اليمن، لأنها ساعدت على إضعاف سلطان ولاية العباسيين هناك (٢٥).

ب. الدعوة القرمطية:

وهي فرع من الدعوة القرمطية العامة - إذا سلمنا بصحة البروايات التي تذكرها - التي كانت تعمل في أوج نشاطها في العراق والشام في الثمانينات من القرن الثالث الهجري، والتي تنسب إلى حمدان قرمط، أحد أشهر دعاة الاسماعيلية في سواد الكوفة بالعراق. لكن، وبما أن هذه الدعوة ظهرت في اليمن حوالي سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٨ م، فإننا نميل إلى الشك في اعتبارها جزءاً من الدعوة الاسماعيلية (٢٦)، خاصة وأنها سنرى أن الدعوة الاسماعيلية في هذا التاريخ كانت قد نمت وانتشرت في اليمن على يد ابن حوشب ومساعدته ابن الفضل. كما أن المقرئ الذي تعتبر مؤلفاته من أهم مصادر التاريخ الفاطمي عموماً، يتحدث عن هذه الحركة بلهجة غريبة لم تألفها في حديثه عن الفاطميين الاسماعيليين وأعمالهم، بل وحتى أنسابهم. ويسمى هذه الحركة فتنة، ويستعمل عبارة لعنه الله بعد ذكره لاسم النجار، صاحب الحركة في اليمن (٢٧).

وتفرد الدواداري والمقرئ بذكر بعض اخبار هذه الحركة (٢٨)، ونقلها عنهما من المؤرخين المحدثين عارف تامر، وصاحب الحركة هو النجار أبو القاسم الحسن بن فرج الصناديقي (٢٩)، وينسب الدواداري إلى أبي الفوارس، داعي دعاة عبدان القرمطي في القطيف وإقليم غربي البصرة، ويقول أن أصله من النرس (٣٠).

وقد رحل الصناديقي إلى اليمن سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م، وقام يث دعوته بين الناس ويبدو انه استجاب له خلق كثير لأنه حلل لهم المحرمات وأزاح عن كواهلهم الفروض والواجبات، وفتح بهم الأقاليم المختلفة وأجلى عنها السلطان. ووصف المقرئ أعمال الصناديقي في اليمن فقال أنه بعد دخول عدد كبير من الناس في دعوته «أظهر العظام، وقتل الأطفال، وسبي النساء وتسمى برب العزة، وكان يكاتب بذلك، وأعلن سب النبي صلى الله عليه وسلم - وسائر الأنبياء،

واتخذ دار إفاضة سماها دار الصفوة يجتمع فيها النساء ويأمر الرجال بمخالطتهن ووطئهن، ويحفظ من تحبل منهن في تلك الليلة ومن تلد من ذلك، ويتخذ تلك الاولاد لنفسه خولاً، ويسميههم أولاد الصفوة..... وكان الصناديقي يقول: إذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ولا ولد من ولد، فيكونوا كنفس واحدة (٣٢)» وعظم أمر القرمطي باليمن فحارب الامام الهادي الزيدي واضطره إلى الجلاء عن عمله في صعدة إلى الرس، ولكن الهادي عاد وجمع رجاله وحارب الصناديقي الذي خسر معظم جيشه في ليلة واحدة بعد أن أصيب بالبرد والثلج وهو يجتاز أحد الممرات الجبلية الضيقة. ثم أرسل الامام الهادي (٣٣) طبيباً استطاع أن يصل إلى الصناديقي وأن يفصده بمبضع مسموم ويقتله. «وأنزل الله بالبلدان التي غلب عليها بشراً يخرج في كنف الرجل منهم بشرة فيموت سريعاً» (٣٤). والتجأ ابن الصناديقي إلى الجبال مع بعض رجاله، ولكن لم يلبث أن توفي بعد مدة قصيرة، واستأن من بقي من أصحابه إلى الامام الهادي واندرت الدعوة القرمطية في اليمن ولم يبق لها أي أثر. (٣٥)

إن إيراد هذه الرواية بهذا الشكل الذي يشبه إلى حد بعيد ما أورده الحمادي اليماني عن علي بن الفضل ودعوته في اليمن (٣٦)، وتقرؤ الدواداري والمقريري بنقلها دون سائر من كتبوا في تاريخ اليمن، بالإضافة إلى عدم ذكر أي شيء عن علاقة هذه الدعوة بالدعوة الاسماعيلية التي كانت قائمة في اليمن في ذلك الوقت، يجعلنا نميل إلى عدم الاطمئنان إلى صحتها، وربما هي في جملتها رواية أخرى للدعوة التي قام بها علي بن الفضل، مساعد ابن حوشب، في اليمن باسم الامام المستور الحسين بن أحمد ثم انقلب عليها فيما بعد وادعى هو نفسه أنه المهدي المنتظر. وهو ماسنوضحه في الصفحات القادمة من هذه الرسالة.

٣ - نشوء الدويلات المستقلة.

تعتبر العوامل التي مهدت لنشاط الحركات الشيعية في اليمن هي نفسها التي مهدت لنشوء الدويلات المستقلة في تلك المنطقة. (٣٧) وتتلخص هذه العوامل في بُعد اليمن جغرافياً عن عاصمة الخلافة - بغداد - ووعورة تضاريس البلاد وإهمال الخلفاء لها. ويضيف بروكلمان إلى هذه العوامل عاملاً آخر هو، كما يقول: «أن الحكام الأرستقراطيين ظلوا منغلقون بقلاعهم ويفرضون سلطتهم على مناطق نفوذهم، كما كانوا يفعلون عهد سبأ وحمر، من غير أن يجدوا معارضة من يمثل الخلافة في صنعاء، ما داموا يؤدون نصيبهم من الجزية في شيء من الاطراد» (٣٨).

ونتناول هنا، باختصار، أهم هذه الدويلات معتمدين على القليل الذي توردته مضادرتنا عنها وعن طبيعتها.

أ- الدولة الزيادية:

ما نعرفه عن هذه الدولة هو أنها أولى الدويلات التي نشأت في اليمن بتشجيع من الخليفة المأمون العباسي بعد أن وصلت إليه أنباء انتشار الدعوة الشيعية هناك، وبعد اخفاق سياسته العلوية لكسب تأييد لشيعه له، وكان ذلك في عام ٢٠٣هـ/٨١٩م (٣٩). ويذكر البكري أن اليمنيين هم الذين أرسلوا وفداً يمثل صفوتهم إلى الخليفة المأمون في بغداد يطلب منه العون والمساعدة للقضاء على الدعوة العلوية (٤٠) التي أخذت بالانتشار على نطاق واسع هناك، وأن الوفد كان برئاسة محمد بن زياد بن عبد الله بن زياد بن أبي سفيان. وطلب محمد المذكور من المأمون أن يوليّه اليمن وهو يكفل ويضمن صيانة هذا البلد من الدعوة العلوية والعلويين، فوافق المأمون على ذلك، وعاد ابن زياد إلى اليمن وقضى على العلويين ودعوتهم. (٤١)

أما بروكلمان فيرى أن الخليفة المأمون هو الذي أرسل القائد ابن زياد على رأس قوات خراسانية للقضاء على الاضطرابات والقتال وتثبيت الأمر لبني العباس (٤٢). وقد تمكن محمد بن زياد من فتح معظم اليمن واخضعه لسيطرته

المباشرة، وبنى مدينة زيد(٤٣)، وجعلها عاصمة ملكه سنة ٨٥٤/٢٤٠ . وأنشأ دولة تكاد تكون مستقلة عن عاصمة الخلافة، إذ لم تكن تربط ابن زياد بعاصمة الخلافة بغداد سوى ذكر أسم الخليفة والدعاء له في خطبة يوم الجمعة. واستمرت هذه الدولة في إبناء ابن زياد زأحفاده حتى سنة ١٠١١/٥٤٠٢م. (٤٤) لكنها كانت في معظم الأوقات مقتصرة على مدينة زيد وما جاورها. وفي عهد حفيده، أبو الجيش أسحق بن ابراهيم بن محمد (٢٨٩ - ٩٠٤/٥٣٩١ - ١٠٠١م)، ظهرت الدعوة الاسماعيلية كقوة منافسة للزيديين. وفي سنة ٩٠٦/٥٢٩٤م قام علي بن الفضل، مساعد ابن حوشب، بغزو مدينة زيد، وأخرج منها أصحابها لبعض الوقت(٤٥). ولكن هؤلاء الامراء لم يلبثوا أن عادوا واستقروا في ملكهم بعد مقتل ابن الفضل سنة ٩١٥/٥٣٠٣م، وقطعوا علاقتهم بعاصمة الخلافة بغداد، بعد عجز العباسيين عن امدادهم بالمساعدة ضد الحركات والدعوات الاستقلالية والشيوعية الاخرى التي نشطت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.

ب. الدولة اليعفرية:

إذا كانت دولة بني زياد قد قامت بتشجيع من الخليفة العباسي المأمون حتى يتمكن بواسطتها من تمكين نفوذه وسلطته في هذا القطر النائي، فإن دولة بني يعفر قد قامت ضد السلطان العباسي الذي كانت سلطته لا تزال متمثلة بعامله على صنعاء. ومؤسس هذه الدولة هو جعفر بن عبد الرحيم الحوالي، وهو من الأشراف المحليين المقيمين بشبام(٤٦)، وكان ذلك حوالي سنة ٨٤٤/٥٢٣٠م. وكان جعفر المذكور قد شق عصا الطاعة على عامل الخليفة المعتصم العباسي، هرثمة بن بشير، وحاربة، وامتد نفوذه إلى الجنوب والمناطق المجاورة لشبام. واستطاع خلفه، أسعد بن أبي يعفر (٢٨٢ - ٨٩٢/٥٣٣١ - ٩٤٣) أن يسط نفوذه على الشمال اليمني وأن يستولي على صنعاء، عاصمة بني العباس هناك. واعترف به خلفاء بني العباس أميراً على صنعاء في أوائل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، بعد اعتراف الأمير أسعد بالسلطان العباسي، وذكره لاسم الخليفة في خطبة الجمعة.(٤٨) ونشطت في عهد الأمير أسعد أيضاً حركتها

الزيدية والاسماعيلية في اليمن، وأصبحتا قوتين منافستين لهذه الدولة الناشئة. وقد أخرج هذا الأمير من صنعاء عدة مرات أثناء نشاط هاتين الدعوتين، ففي سنة ٩٠٠/٥٢٨٨م غزا الامام الهادي الزيدي صنعاء، وفي سنة ٩٠٥/٥٢٩٣ هاجمها علي بن الفضل، مساعد ابن حوشب، للمرة الأولى لكنه لم يستقر بها إلا في سنة ٩١١/٥٢٩٩م. وبعد ذلك بعامين، قام أسعد بن أبي يعفر بمصالحة ابن الفضل وتولى له صنعاء وقطع الخطية لبني العباس (٤٩). واستمر على هذه الحال حتى مقتل ابن الفضل سنة ٩١٥/٥٣٠٣م حيث أعاد الخطية لبني العباس. وقضى على دعوة ابن الفضل في اليمن، واستمرت دولة بني يعفر حتى ١٠٠٢/٥٣٩٣م. (٥٠). هذه باختصار، لمحة موجزة عن اهم حركتين استقلاليتين قامتا في اليمن في أوائل القرن الثالث الهجري، وهما حركتان استقلتا عن الخلافة العباسية فعلياً، وبقية تابعتين لها أسمى، وذلك بذكر أسم الخليفة العباسي في خطبة يوم الجمعة. وهو الاسلوب الذي يضمن أعتراف الخليفة بشرعية حكم هؤلاء الأمراء لكي يتمكنوا من فرض سلطانهم على رعيتهم واتباعهم.

٤. الحالة العامة في اليمن وقت ظهور ابن حوشب.

لم تكن اليمن تشكل وحدة سياسية، ولم تكن خاضعة لحكم أمير واحد في الوقت الذي بدأت تظهر فيه الدعوة الاسماعيلية هناك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وإنما كانت، على الرغم من كونها تابعة للحكم العباسي في بغداد، ووجود عمال عباسيين في صنعاء، بلاداً أنهكتها المنافسات الداخلية والاختلافات المذهبية، وكانت تتشكل من ولايات شبه مستقلة عن الخلافة العباسية «إدارياً وسياسياً لضعف الخليفة عن حربها، ولكنها لم تستطع الاستقلال عنه دينياً لأن الولاة كانوا لا يستغنون عن بيعه الخليفة لتثبيت سلطانهم. (٥١)»

ولا غرو، فقد تضافرت عوامل متعددة، داخلية وخارجية تسببت في انتشار الفوضى والاضطرابات في هذه الفترة وفي انعزال اليمن عن بقية أقطار الخلافة الاسلامية. فضعف السلطة المركزية في عاصمة الخلافة الاسلامية، وتنافس الأمراء اليمنيين فيما بينهم، بالإضافة إلى عدم الاستقرار الذي شهدته شبه الجزيرة العربية نتيجة ثورات القرامطة المتعددة في سواد الكوفة في العراق وفي البحرين، كلها

ساهمت في خلق هذا المناخ المضطرب الذي أحسن دعاة الاسماعيلية استغلاله، والذي أصبح عاملاً مساعداً لنجاح دعوتهم هناك على يد ابن حوشب ومساعدته، ابن الفضل، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.(٥٢).

وقد رأينا أن دولة بني زياد قامت في زيب في وقت مبكر من القرن الثالث الهجري، وتبعها دولة بني يعفر في صنعاء، واعترفت كل منهما بالسلطان العباسي، وما عدا هذا الاعتراف لم يربطهما معه أي رابط آخر. وأن دولة بني زياد قامت بتشجيع من الخليفة العباسي، المأمون، ثم استقلت عنه، بينما أثبتت دولة بني يعفر وجودها بقوة السيف وحصلت على استقلالها وعلى اعتراف الخليفة العباسي بهذه الوساطة أيضاً. ثم برز عنصر آخر على مسرح الاضطرابات والصراع في اليمن، لم تربطه بالسلطان العباسي أية رابطة، بل كان من أكثر الحركات عداوة لهذا السلطان، وهذا العنصر هو الحركة الزيدية التي قامت في صعدة حوالي سنة ٨٩٣/٥٢٨٠م على يد الامام الهادي الزيدي. وزاد ظهور هذه الحركة الجديدة في الفوضى والاضطراب نتيجة الحروب المريعة التي قامت بينها وبين بني يعفر(٥٣) مما ساعد على اضعاف الدولة اليعفرية، وساهم في اتاحة الفرصة أمام الدعوة الاسماعيلية كي تتقوى وتتوسع على حساب نفوذ بني يعفر وأئمة الزيدية على السواء.

وبقيام الدعوة الاسماعيلية بعد سنة ٩٦٨/٥٢٨١م، في عدن لاعة وجيشان، أصبحت تنقسم اليمن أربع دويلات مستقلة عن السلطة العباسية، ومتصارعة فيما بينها، وهي:

- دولة بني زياد في زيب.

- دولة بني يعفر في صنعاء.

- الدولة الزيدية في صعدة.

- الدولة الاسماعيلية في عدن لاعة وجيشان.(٥٤)

وصدق قول علي بن الفضل للامام الاسماعيلي المستور الحسين بن أحمد عندما عرض عليه الأخير القيام بالدعوة لولده، المهدي في اليمن:

«والله أن الفرصة ممكنة في اليمن، وأن الذي تدعون إليه جائز هنالك
وناموسنا يمشي عليهم، وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الاحلام، وقلة المعرفة
بأحكام الشريعة المحمدية.(٥٥)».

حواشي الفصل الأول:

(١) Hart, J.S., Basic Chronology..., The Middle East Journal, vol..(١)
17 P.146

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ٩١،

(٣) المصدر ذاته، ج ٣/ ص ١٥٩،

(٤) الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص ١٦،

(٥) الهمداني، الصليحيون، ص ١٤،

(٦) المصدر ذاته، ص ١٧،

(٧) نشوان الحميري، منتجات في أخبار اليمن، ص ٥٣، ١١٠،

(٨) المصدر ذاته، ص ١١٠،

(٩) الهمداني، الصليحيون، ص ١٥،

(١٠) وردت تفاصيل هذه الفتنة عند الطبري، تاريخ الامم، ج ٥، ص ٩٨ وما بعدها.

(١١) الهمداني، الصليحيون، ص ١٧،

(١٢) قيل أنه كان من كبار دهاة قبيلة عذر اليمنية وزهادها، الهمداني، الاكليل،
الكتاب العاشر، ص ٦٣،

(١٣) المصدر ذاته، ص ٦٣ - ٦٥،

(١٤) الهمداني، الصليحيون، ص ٢١،

(١٥) ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج ١٦، قسم ١، ص ١٧، ولم
يورد العمري أي تخصيص لهذه الدعوة.

(١٦) المصدر ذاته، ج ١٦، قسم ١، ص ١٧،

Robertson, Sana Past and Present, The Moslem World, vol. (١٧)
.33P.53

(١٨) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٢٥.

Brockelman, History of the Islamic Peoples, P.142 (١٩)

(٢٠) صعدة: مخلاف باليمن إلى الشمال من صنعاء وبينهما ستون فرسخاً،
انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ص ٤٠٦ .

(٢١) الهمداني، الصليحيون، ص ٢٥.

Hart, Basic Chronology, The Middle East Journal, vol ,17 (٢٢)
.146

Brockelmann, History of the Islamic Peoples, P. 143 (٢٣)

العبارة منقولة عن الترجمة العربية للكتاب، طبعة ٣، ج ٢، ص ٧١
- ٧٢ .

Hart, OP. Cit., Vol. ,17 b. 146 (٢٤)

(٢٥) عارف تامر، القرامطة، ص ١٤٠.

(٢٦) يتفق جمهور المؤرخين على أن حركة القرامطة في العراق وسورية كانت جزءاً من الدعوة الاسماعيلية، وأنها أسم آخر لهذه الدعوة، وأن انفصال القرامطة عن الاسماعيلية كان في التسعينات من القرن الثالث الهجري عندما هاجر محمد المهدي (أو عبيد الله المهدي) من سلمية إلى المغرب: وقد عالج عبد العزيز الدوري هذا الموضوع بإسهاب مورداً مختلف الروايات والآراء في كتابه، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص ١٥٥ وما بعدها، انظر أيضاً، الطبري، تاريخ الامم، ج ١١، ص ٣٣٧ وما بعدها، ابن النديم، الفهرست، ص ١٨٧، الشهرستاني، الملك والنحل، في هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج ٢، ص ٢٩ أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، ص ١١

- ١٧، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٤٤٤ وما بعدها. المقرئزي، أتعاط الحنفاء، ص ٢٠٤ وما بعدها. عارف تامر، القرامطة، ص ٦١ وما بعدها.
- (٢٧) المقرئزي، أتعاط لحنفا، ص ٢٢٣
- (٢٨) اورد البغدادي ذكر الصناديقي، ولكن يعني به ابن حوشب لأنه يُشرك منه علي بن الفضل في دعوته هذه، الفرق بين الفرق، ص ٢٨٩
- (٢٩) المقرئزي، أتعاط، ص ٢٢٢
- (٣٠) الدواداري، الدرّة المضيفة، ص ٦٣ والنرس قرية صغيرة في نواحي الكوفة على نهر صغير يتفرع من نهر الفرات، وتنسب إليها الثياب النرسية، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٨٠
- (٣١) تامر، القرامطة، ص ١٣٩، المقرئزي، أتعاط، ص ٢٢٣
- (٣٢) المقرئزي، أتعاط، ص ٢٢٢ وسلاحظ أن مثل هذه لأعمال قد نُسبت إلى علي بن الفضل بعد فتحه لمدينة المديخرة ثم صنعاء سنة ٥٢٩٤هـ.
- (٣٣) يذكر عارف تامر أن الخليفة القائم بالله العباسي هو الذي أرسل الطبيب المذكور. القرامطة، ص ١٣٩
- (٣٤) المقرئزي، أتعاط، ص ٢٢٣
- (٣٥) المصدر ذاته، ص ٢٢٣ وهذه النهاية شبيهة بنهاية دعوة ابن الفضل بعد ثورته على ابن حوشب وتفردّه بحكم اليمن من ٢٩٩ - ٣٠٣هـ.
- (٣٦) الحمادي، كشف أسرار الباطنية، ص ٢٨ - ٣٨
- (٣٧) انظر أعلاه ص ١٨ - ١٩
- (٣٨) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج٢، ص ٦٩
- (٣٩) Hart, OP.Cit. Vol.17, P.146
- (٤٠) وهي الدعوة التي مر ذكرها عند ابن فضل الله العمري.

- (٤١) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، ج١، ص ٧٢-٧٣، سرور، النفوذ الفاطمي، ص ١ (٤٢) بروكلمان، تاريخ، ج٢، ص ١٤٢،
- (٤٣) مدينة مشهورة في جنوبي غربي اليمن إلى الشرق من ساحل غلافة. ياقوت، معجم، ج٣، ص ١٣١،
- (٤٤) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ص ٢٤٧،
- (٤٥) سرور، النفوذ الفاطمي، ص ٥٩؛ و Hart, OP.Cit., vol. ,17 p. 146
- (٤٦) هناك أربعة مواضع في اليمن تعرف بهذا الاسم، وهي: شبام حضرموت، شبام حرز، شبام سخيم، وشبام كوكبان. ياقوت، معجم، ج٣، ص ٣١٨ ولاندرى من أي موضع هو بالتحديد.
- (٤٧) العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص ٣،
- (٤٨) بروكلمان، تاريخ، ج٢، ص ١٤٢،
- (٢٩) أحمد شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ١٨٦ - ١٨٧،
- (٥٠) عارف تامر، تاريخ الاسماعيلية، ج١، ص ٢٧١؛ Harts, OP.Cit, Vol,17؛ p146
- (٥١) محمود، تاريخ اليمن، ص ١٣١،
- (٥٢) الحمداني، الصليحيون، ص ٢٨؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص ٥٩،
- (٥٣) الشرفي، الآلي المضية، ج٢، ورقة ٨٤،
- (٥٤) Stroth mann, «San's», Encyclopaedia of Islam, vol. ,4 p. 145
- عارف تامر، تاريخ الاسماعيلية، ج١، ص ٢٧١ - ٢٧٢،
- (٥٥) الحمادي، كشف اسرار الباطنية، ص ٢٢،

الفصل الثاني

شخصية ابن حوشب واعتناقه للأسما عيلية

١- نشأة ابن حوشب حتى اعتناقه للأسما عيلية:

كنا نتمنى لو كان في الامكان الحصول على معلومات كافية ووافيه تساعدنا في توضيح جوانب شخصية ابن حوشب وتسلط الضوء عليها. ويعود هذا الامر إلى أن المؤرخين والمترجمين أهملوه ولم يتعرضوا له، ومن ذكره لم يكتب عنه الكثير. وشمل هذا الاهمال شخصية مساعدة في الدعوة في اليمن، علي بن الفضل. كما ان المعلومات التي وردت في ترجمة الامام الحسين بن أحمد الذي أرسل ابن حوشب إلى اليمن هي الأخرى ضئيلة جداً ولا تتعدى كونها اشارات عابرة إلى بدء الدعوة في اليمن على يدي ابن حوشب.

آ. اسمه وأصله:

من الملاحظ أن أسم ابن حوشب ورد على عدة صور عند المؤرخين، وأحياناً نلاحظ اشكالا متعددة لذات الاسم عند المؤرخ الواحد، فالقاضي النعمان، وهو أقربهم زمنياً إلى ابن حوشب، يقول بهذا الصدد: «وصاحب دعوة اليمن

هو أبو القاسم الحسن فرج بن زاذان الكوفي (١) والحمادي اليماني يسميه «المنصور الحسن بن زاذان» (٢) أما البهاء الجندي فيسميه «منصور بن زاذان بن حوشب بن الفرّج بن المبارك» (٣) ويذهب إلى الأثير إلى القول بأنه «رستم بن الحسين بن حوشب بن داود النجار» ويذهب ابن خلدون أبعد من ذلك فيتكلم عن ابن حوشب باسمين مختلفين في الجزئين الثالث والرابع من كتابه العبر، فعند حديثه عن بدء الدعوة العبيدية في شمال افريقية وأصل هذه الدعوة، يذكر ابن حوشب على أنه «رستم بن الحسين بن حوشب بن داود النجار» (٥) وفي معرض كلامه عن الاسماعيلية يقول هو «أبي القاسم الحسين بن فروخ بن حوشب الكوفي» (٦) وذكر المقرئ ثلاثة أسماء مختلفة لابن حوشب تختلف هي بدورها عن الاسماء التي ذكرها ابن خلدون ومن سبقه. ففي كتابه الاتعاظ يقول هو «أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي» (٧) وفي الخطط يقول أنه «أبو القاسم الحسين بن فرج حوشب الكوفي» (٨) وفي نفس الصفحة يذكر أنه «الحسن بن حوشب» (٩) وحسب. ويرى الداعي عماد الدين ادریس ان ابن حوشب هو «الحسن بن الفرّج بن حوشب المنصور» (١٠) ويذهب آخرون إلى تسميته بمنصور بن حسن. (١١) ومن المؤرخين المحدثين من أخذ بشكل أو بآخر، فالهمداني يقول «هو أبو القاسم بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي» (١٢) وحسن ابراهيم يذكره على أنه «أبو القاسم الحسن بن أبي الفرّج، ويعرف بابن حوشب» (١٣)

وهذا الاختلاف في الأشكال التي ورد بها اسم ابن حوشب يجعل تقرير صحة أحداها أمراً ليس بالسهل، ولكننا نميل إلى قبول ما أورده القاضي النعمان في ذلك، لأن القاضي النعمان هو أقرب المؤرخين الذين كتبوا عن ابن حوشب من حيث الفترة الزمنية، فقد عمل النعمان قاضياً لقضاة الدولة الفاطمية خلال عهد الأئمة الخلفاء القائم بأمر الله والمنصور والمعز (٩٠٩/٥٢٩٧ - ٩٧٣/٥٣٦٣ م)، ولأنه ينقل أخبار هذا الداعي عن أهل العلم والثقة من أصحابه (١٤)، أي أصحاب ابن حوشب ومن هؤلاء ولده جعفر المنصور الذي تبوأ مراتب عالية عند الأئمة الخلفاء بعد أن اضطر إلى مغادرة اليمن نتيجة انقلاب أخيه الأكبر، الحسن، على دعوة أبيه منذ سنة (٣٣٦هـ).

أما لقيه فهو منصور اليمن أو المنصور وبه يعرف عند عدد من المؤرخين أيضاً، (١٥) وقد اكتسبه بعد نجاحه في نشر الدعوة الاسماعيلية في اليمن، وفي ذلك يقول القاضي النعمان: «وسمي المنصور باليمن لما أُتيح له من النصر، وكان إذا قيل له ذلك قال لهم: المنصور أمام من أئمة آل محمد صلى الله عليه وسلم، أما سمعتم قول الشاعر:

إذا ظهر المنصور من آل أحمد فقل لبني العباس قوموا على رجل (١٦)»

ويبدو أن ابن حوشب قد استحق هذا اللقب نظراً لأعماله الباهرة في اليمن. فقد أشار الخطاب إلى منجزات ابن حوشب العظيمة وفضله المشكور على الدعوة، فقال عنه: «وكان بمثابة الفجر المتنفس وبه كشف الله عز وجل عن الأولياء الغمة وأثار حنادس الظلمة...» (١٧).

وإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن أصل ابن حوشب فإننا نجد أن مصادرنا تكاد تخلو من أي ذكر لهذا الأصل، وإذا ما صدف وورد فيها شيء فإنه لا يتعدى الإشارة إلى موطنه (١٨)، أو نسبه (١٩).

وقد يكون هذا الغموض عائداً إلى عدم اهتمام المؤرخين والمترجمين المسلمين بحياة الاعلام الأولى، أو أنه متعلق بطبيعة الحركة الفاطمية في ذلك الوقت، حيث اتصفت بالسرية والغموض، وبما أن ابن حوشب كان أحد أكبر دعايتها، فمن الممكن أن يكون قد لحقه مالحق أصحاب هذه الدعوة وأئمتها من اضطراب وغموض في الأصل والمنشأ. ولكن إذا كنا لانتوقع أن يهتم المؤرخون المسلمون السنة بشخصيات الحركة الفاطمية لاختلافهم معهم في المذهب، فإننا نتوقع أن نجد شيئاً عند بعض من كتبوا من الاسماعيلية عن هذه الدعوة وشخصياتها ومثل ذلك نتوقعه عند القاضي النعمان الذي تعتبر كتاباته من أهم ما وصلنا عن ابن حوشب ودعوته لأنه واسع الاطلاع على شؤون الدعوة، وشغل مناصب رفيعة في الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، بالإضافة إلى أنه ينقل معلومات عن أهل العلم والثقة من أصحاب ابن حوشب، حسب قوله هو في

ذلك.(٢٠) ومع ذلك فلا نجد شيئاً يستحق الذكر. فكل ما قاله في ذلك هو أن ابن حوشب «كان من أهل الكوفة، من أهل بيت علم وتشيع»(٢١). ويضيف الحمادي اليماني المعروف بعادته للحركة الفاطمية إلى مذكره النعمان قوله:

«وكان ينسب إلى ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب..(٢٢)» أما البهاء الجندي فإنه يتوسع قليلاً ويذكر أن ابن حوشب كان من كربلاء وأنه «من ولد عقيل بن أبي طالب، كان جده زاذان أحد أعيان الكوفة، وسكن أولاده على تربة الحسين.(٢٣)» واكتفى مؤرخون آخرون بنسبته إلى الكوفة، ولم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث والتنقيب عن أصله(٢٤). بينما يؤكد د. دفتري (Daftry) أن ابن حوشب هو من الكوفة، وأنه من عائلة شيعية امامية عريقة(٢٥). وهكذا نجد أن هناك شبه إجماع على أن ابن حوشب من الكوفة، وأشارة النعمان إلى أنه من أهل بيت علم وتشيع، إضافة إلى الاشارات الأخرى التي تقول بأن جده من ولد عقيل بن أبي طالب تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه كان ينتسب إلى بيت آل رسول الله(ص). وما يؤكد هذا الاعتقاد اهتمام الامام المستور الحسين بن أحمد، به وتقديره له بعد اعتناقه للاسماعيلية، كما سنرى فيما بعد، وتقويضه بأمور الدعوة في اليمن، وتدريب الدعاة وإرسالهم إلى مختلف المناطق(٢٦). وهناك اشارة لابن خلدون تفيد بأن ابن حوشب هو أحد أبناء أبي سعيد الجنابي(٢٧)، ولكنها اشارة غريبة وغير مقبولة، لأن ابن خلدون يتفرد بذكرها من جهة، ولأن الجنابي من أصل فارسي(٢٨) بينما ابن حوشب كوفي علوي وينتسب إلى عقيل بن أبي طالب من جهة أخرى.

ب. نشأته وعلومه:

تبرز مشكلة عدم توفر المعلومات الكافية لالقاء الضوء على نشأة ابن حوشب الأولى بشكل أوضح هنا، وذلك لأننا لم نجد الأسس الكافية التي تمكننا من بناء بعض الافتراضات حول هذه النشأة، أو لاستنتاج ما يساعدنا على توضيح ذلك. وأول ما يعترضنا هو عدم معرفتنا بتاريخ ولادة هذا الداعي الكبير، وذلك

إنما لتجاهل المؤرخين لسنة الولادة، أو لعدم معرفتهم بها. ويشمل ذلك أصحاب المصادر الأولية والثانوية على السواء. (٢٩) لكن قد تستطيع ترجيح سنة الولادة بالاعتماد على سنة تكليف ابن حوشب بالدعوة في اليمن. فالمعروف أن دخول ابن حوشب اليمن للقيام بالدعوة كان في أول سنة ٢٦٨/٨٨١م (٣٠)، وأنه ليس من المعقول أن يكون ابن حوشب دون سن البلوغ في ذلك التاريخ. ولابد أنه كان شاباً ناضجاً كي يُعهد إليه بمثل هذه المهمة. وهذا مايمكن استنتاجه من سياق قصة اعتناق ابن حوشب للمذهب الاسماعيلي، ومعاملة الامام المستور، الحسين بن أحمد، له أثناء تدريبه وتأهيله في مدرسة الدعوة الفكرية في سلمية. (٣١) وإذا كان الأمر كذلك فتكون سنة الولادة حوالي (٥٢٣٥هـ).

وينطبق الأمر ذاته على البحث في نشأة ابن حوشب الأولى، إذ ليس في مصادرنا أي ذكر لطبيعة هذه النشأة، أو للعلوم التي تلقاها في هذه الفترة، أو للشيوخ الذين درس عليهم وأخذ معارفهم عنهم، إلا أن إشارة القاضي النعمان إلى أن ابن حوشب من اهل بيت علم وتشيع (٣٢) تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه أخذ علومه عن آباءه وأجداده، وتكون تربيته تربية عائلية أبعدت عنه تأثير شخصيات علمية خارجية.

كما يبدو أنه تعلم ودرس في الكوفة، موطنه ومكان نشأته الأولى، لأنه ليس لدينا أية إشارة إلى أنه طلب العلم في مكان آخر.

ويبدو أنه اتجه في تحصيله للعلوم وجهة دينية تركزت على دراسة علوم القرآن والحديث والفقه. (٣٣) لكنه لم يكن ليسلم بأمر بعيدة عن الواقع والمنطق. ولذلك نراه، كما جاء في حديثه عن قصة اعتناقه للمذهب الاسماعيلي، (٣٤) يترك مذهب الامامية الاثنا عشرية لأنه لم يستطع تقبل ما أورده أتباع هذا المذهب حول قصة غيبة الامام الثاني عشر، هذه الغيبة التي طالت أكثر مما توقع ابن حوشب، والتي كانت سبب تحول الكثيرين من أمثاله إلى المذهب الاسماعيلي. يضاف إلى ذلك الاخلاص الذي أظهره للعهود والمواثيق التي قطعها على نفسه قبيل رحيله إلى اليمن، مما يؤيد ميلنا إلى الاعتقاد بأن نشأته الأولى غلب عليها طابع الدين، وأن أثر هذه النشأة ظهر في أعماله وأفعاله خلال الفترة التالية من

حياته. ويُستدل على ذلك من خلال مساهمته في الحياة العلمية للدعوة الاسماعيلية بعد أن تشبّع بأفكارها وعقائدها أثناء فترة تأهيله في مدرستها الفكرية السرية في سلمية. وكان أن كتب، وهو في اليمن فيما بعد، بعض المصنفات التي تبحث في أصول العقيدة الاسماعيلية، وأسسه الفكرية، وأهم ما وصلنا من هذه المصنفات كتاب الرشد والهداية الذي يقول عنه ايفانوف (٣٥) أنه غير موجود بكامله وإنما وصلتنا قطع متفرقة منه، ويتضمن مباحث تمثل ملامح المدرسة الفكرية التي سادت زمن القرامطة في القرن الثالث الهجري. كما ينسب إليه كتاب العالم والغلام الذي ينسب إلى ولده جعفر المنصور أيضاً. وهو أيضاً يتضمن ذات الملامح الفكرية الواردة في الكتاب السابق جرى تصنيفها على نموذج القصص الشعبي. (٣٦)

٢- تحويل ابن حوشب إلى المذهب الاسماعيلي:

تجدر الإشارة، قبل ذكر قصة اعتناق ابن حوشب للمذهب الاسماعيلي، إلى وجود اختلاف ظاهر بين المؤرخين حول شخصية الامام الذي اتصل به ابن حوشب، وحول نسبه أيضاً. ومردّد هذا الاختلاف هو دور الستر الذي مرت به الحركة الاسماعيلية في ذلك الوقت لأن خلفاء بغداد كانوا يطاردون اتباع هذه الدعوة وأئمتها في شتى أرجاء الامبراطورية العربية الاسلامية. ولذلك اضطر هؤلاء الائمة إلى تسمية أنفسهم بأسماء مختلفة كانوا يطلقونها على كبار دعائهم أيضاً لتضليل العباسيين، ولاخفاء حقيقة هوياتهم مما أوقع الالتباس عند المؤرخين الذين كتبوا عنهم، فجعلوا يخلطون بين الأئمة ودعائهم. وأدّى ذلك، بالتالي، إلى نشوء «مشكلة النسب الفاطمي» (٣٧) التي ظهرت بعد قيام الدولة الفاطمية في المغرب بأكثر من قرن من الزمان. (٣٨)

وهذا الاختلاف الظاهر بين المؤرخين حول شخصيات أئمة دور الستر وأنسابهم، يجعل أمر تقرير شخصية الامام الذي اتصل بابن حوشب مربكاً إلى حد ما. على أن مناقشة هذه الآراء والروايات تجعلنا مع الأخذ بصحة نسب محمد المهدي الفاطمي (أو عبيد الله المهدي كما اعتاد المؤرخون غير الاسماعيليين

تسميته)، وتحديد، بالتالي، شخصية القائم بأمر الدعوة زمن ابن حوشب، ونعني به الامام الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق. (٣٩)

وتحديد تاريخ لقاء ابن حوشب بالامام الحسين بن أحمد أمر عسير أيضاً، لأن مصادرنا لاتذكر هذا التاريخ. واضطراب سني وفيات أئمة دور الستر يزيد الامر صعوبة وتعقيداً، إذ لو كنا نعرف ذلك لأمكننا استنتاج مثل هذا التاريخ (٤٠). غير أن وجود إشارة إلى تاريخ خروج علي بن الفضل، مساعد ابن حوشب في الدعوة فيما بعد، إلى الحج عند القاضي النعمان يساعدنا في تحديد تاريخ اللقاء على وجه التقريب. فالقاضي النعمان يذكر أن ابن حوشب أصبح مقرباً إلى الامام بعد تحوله إلى الاسماعيلية، وأن الامام قال له في أحد الأيام:

يا أبا القاسم هل لك في غربة في الله؟ فقال ابن حوشب: يامولاي الأمر إليك فما أمرتني به امثلته. فقال الامام: اصبر كأني برجل قد أقبل إلينا من اليمن، وما لليمن إلا أنت؟ (٤١)

ثم يذكر أن الرجل الذي كان الامام بانتظار وصوله هو علي بن الفضل، وأنه خرج من اليمن سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م (٤٢). وبعد انقضاء موسم الحج في مكة، توجه إلى الكوفة حيث التقى الامام الحسين بن أحمد في تلك السنة أو السنة التي تلتها. وعلى هذا الأساس يكون ابن حوشب قد أصبح من المقرين إلى الامام الاسماعيلي في سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م، ويكون تحوله إلى الاسماعيلية قد تم قبل هذا التاريخ بفترة قصيرة ربما لم تتجاوز السنة.

وتجمع مصادر هذه الدراسة على أن مكان لقاء ابن حوشب بالامام المستور الحسين بن أحمد، كان في الكوفة. لكنها تختلف حول الكيفية التي تم بها هذا اللقاء. فالحمادي اليماني يذكر أن الامام عندما رأى ابن حوشب «علم أنه مسعود وانه ينال شرفاً وملكاً». وذلك من طريق معرفته بالنجوم والفلسفة فجعل ميمون (٤٣) يلطف به ويرفق فيكشف له مذاهب الفلسفة ومقاهم فلم يزل به حتى قبل منه وركن إليه

وإلى قوله وما زال به حتى مال إلى معتقده وصار من دعائه الذين يدعون إليه وإلى ولده» (٤٤)

وفي رواية يحيى بن الحسين في غاية الأمان، نجد أن ابن حوشب اعتنق الاسماعيلية هو وعلي بن الفضل في وقت واحد، إذ يذكر أنه عندما قام ابن الفضل بزيارة ضريح الحسين بن علي في كربلاء، أظهر الندامة والبكاء مما لفت نظر الامام المستور الذي

«ظهر له من ابن الفضل ومنصور بن حسين مخايل الشهامة، فأطلعهما على سره، وعرفهما حقيقة أمره، وأومها أن المهدي ولده، وأن نسبه يتصل بأمر المؤمنين علي عليه السلام... فوجدما قابلين لقوله فأخذ عليهما العهود الوثيقة وعرفهما حقيقة مذهبه، ثم أمرهما بالمسير إلى اليمن» (٤٥).

أما الرواية التالية فهي من أهم الروايات لأن راويها، القاضي النعمان، ينقلها عن أصل الثقة من أصحاب ابن حوشب من جهة، ولأنه أقرب زمنياً إلى صاحب الدعوة من كل الذين كتبوا عنها وأرخوها، من جهة ثانية، وهي الرواية التي اعتمدها عدد لا بأس به من المؤرخين المحدثين (٤٦) من جهة ثالثة. وقد أوردتها القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة، (٤٧) ونقل الداعي عماد الدين أدریس نصّها بكامله في كتابه عيون الأخبار. (٤٨)

يشير القاضي النعمان في البداية إلى حقيقة أن ابن حوشب كان من الاثنا عشرية، أصحاب محمد بن الحسن العسكري، الامام الثاني عشر الذي غاب واختفى سنة ٢٦٦هـ / ٨٧٩م ولم يعد إلى أصحابه كما كان متوقّعا. ولما طال غياب الامام محمد، بطل ذلك في أيدي كثير من الشيعة الاثنا عشرية، وابن حوشب من هؤلاء. وتذكر ابن حوشب في أحد الأيام قول الفهري:

الا يا شيعة الحق	ذوي الايمان والبر
اتتكم نصرة الله	على التخويف والزجر
فعند البست والتسمين	قطع القول والعذر

لامر ما يقول الناس بيع الذر بالبحر

يتيم كان خلف الباب فانقض على الوكر

فرأى أن الوقت قد قرب حسب قول الفهري، وأن المهدي لا بد وأن يظهر ليعيد الحق والعدل إلى نصابه، ويهزم قوى الشر والظلم. وكان يخرج إلى شاطئ الفرات ليتفكر بالأمر. وبينما هو في إحدى هذه الجولات حضر وقت الصلاة، فصلى وأخذ يقرأ القرآن. وبينما هو كذلك إذ أقبل عليه شيخ ومعه رجل ما إن نظر إليهما حتى قطع قراءة القرآن لهيبة الشيخ. قال:

فقطعت القراءة لهيبته وبقيت انظر إليه إذ أقبل غلام يمرح في مشيته فقرب مني فأنكرت ذلك عليه إجلالاً للشيخ، فلم يلو عليّ فقلت: من أنت يا بني؟ فقال: حسيني، فاستعبرت وقلت: بأبي الحسين صلوات الله عليه المصّرّج بالدماء الممنوع من هذا الماء، قال فرأيت الشيخ نظر إلي عند ذلك، وتكلم الرجل الذي بين يديه كلاماً لم أفهمه، فقال لي الرجل: تقدم إلينا - رحمك الله - فقممت إليه حتى جلست بين يدي الشيخ، فرأيت دموعه تسيل على لحيته، أظنه عند ذكرى الحسين صلوات الله عليه، وقال لي: من أنت الذي تذكر الحسين بما ذكرته؟ قلت: رجل من الشيعة، قال: ما أسمك؟ قلت: الحسن بن فرح بن حوشب، قال: اعرف أبك من الشيعة الاثني عشرية، قلت: نعم، قال: فأنت علي ذلك؟ فسكت. قال: تكلم فأنا من أخوانك، قلت: كنت فيمن كان علي ذلك إلى أن بطل الأمر في أيدينا وما أخرجني إلى هذا المكان إلا ضيق صدري بذلك... (٤٩)

وأخبره ابن حوشب بما يجول في خاطره، وتكلم الشيخ معه بمسائل قرآنية ودينية أثار في خاطره الرغبة لمعرفة أجوبتها، ولكن محدته لم يفصح معه مما جعله يزداد رغبة للمعرفة، وعند ذلك تركه الشيخ على أمل اللقاء في اليوم التالي ليوضح له ما غمض عليه من المسائل. وعاد ابن حوشب في اليوم التالي إلى ذات المكان، ولكن الشيخ لم يحضر، وطال انتظاره له، وامتد الأمر أياماً كثيرة حتى وصل الحال به إلى حد اليأس من رؤية الشيخ. وعندما شاهد الرجل الذي كان مع الشيخ تعلّق به وسأله عن سبب غيبة الشيخ فتلطّف به الرجل وتحدثا بأمور كثيرة أظهرت معرفة الرجل وتعمّقه في المسائل التي غمضت على ابن حوشب. ولما أظهر

ابن حوشب تعلقاً ظاهراً به أخذ الرجل عليه العهد ثم أخبره أن الشيخ هو امام الزمان، وفي ذلك يقول:

وما زلنا حتى أخذ علي العهد وعرفني أن الشيخ هو امام الزمان، وفتح لي من المعرفة كثيراً، وعرفني الموضع وجمع بيني وبين الامام، وكان يخصني ويقربني ويرمز بقرب الأمر ودنو العصر... (٥٠)

وهكذا نرى أنه كان عند ابن حوشب استعداد نفسي لقبول الدعوة الاسماعيلية بعد أن فقد الأمل بعودة الامام الثاني عشر الغائب. وعندما وجد ضالته فيما ألقاه إليه الشيخ الامام أظهر كل تعلق به ولم يتردد في إعطاء العهود والمواثيق ليصل إلى الحقيقة التي ينشدها. وكان لإخلاصه وطاعته أثرهما في ان أصبح من المقرين عند الامام الحسين بن أحمد، الذي وجد فيه هو الآخر الرجل المناسب ليقوم بالدعوة له ولولده المهدي. واصطحبه الامام معه إلى سلمية - مقر إقامته ومركز دعوته السرية - ليتلقى العلوم الفكرية والتدريب العملي. ولم تنقض ستتان على هذا اللقاء حتى كان ابن حوشب قد وصل درجة رفيعة في الدعوة، وأصبح مهياً للذهاب إلى اليمن ليتأسس أمور الدعوة هناك، وليؤسس أول دولة اسماعيلية في ذلك البلد.

حواشي الفصل الثاني:

- (١) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٣٢
- (٢) الحمادي، كشف اسرار الباطنية، ص ٢٢ وكذلك فعل الخزرجي الذي ينقل عن الحمادي وسماء منصور بن حسن المسجد المسيوك. وقد نشر سهيل زكار الفصل المتعلق بقرامطة اليمن في: اخبار القرامطة في الاحساء - الشام - العراق - اليمن، ص ٤١٥، وسنشير إلى هذا المصدر بعد ذلك باسم: زكار، أخبار القرامطة.
- (٣) الجندي، السلوك، ص ١٤٠
- (٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٣٠
- (٥) ابن خلدون، العبر، ج ٣، قسم، ص ٧٦٠
- (٦) المصدر ذاته، ج ٤، قسم ١، ص ٦٨
- (٧) المقرئ، اتعاظ الخنفاء، ص ٦٨
- (٨) الخطط، ج ٢، ص ١٦٠
- (٩) المصدر ذاته، ج ٢، ص ١٦٠
- (١٠) ادريس، زمر المعاني، ص ٢٥٢
- (١١) ومنهم ابن المؤيد اليمني، أنباء الزمن، ص ٣٨، يحيى بن الحسين، غاية الاماني، قسم ١، ص ١٩١، الشرفي، اللآلئ المضيئة، ج ٢، ورقة ٨٤، وأغرب القاضي العرشي فقال: هو منصور بن حسن جيوشب (الجيم) من باذان. بلوغ المرام، ص ٢٢
- (١٢) الهمداني، الصليحيون، ص ٢٩
- (١٣) حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٤٠١، وأنظر: سرور، النفوذ الفاطمي، ص ٦٠

(١٤) النعمان، افتتاح، ص ٣٣،

(١٥) منهم عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص ٥٠ كما ان الحمادي يستعمل المنصور خلال معظم حديثه عن الدعوة الاسماعيلية في اليمن. وورد هذا الاسم في نهاية كتاب الرشد والهداية المنسوب لابن حوشب والذي نشره محمد كامل حسين في Collectanea، الجزء ١، ١٩٤٨، ص ١٨٩ - ٢١٣

(١٦) النعمان، افتتاح، ص ٣٢ - ٣٣

(١٧) سيدنا الخطاب، غاية الموالي. فصل نشره ايفانوف في: Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fahimids, P.36

(١٨) انظر مثلاً: النعمان، افتتاح، ص ٣٣؛ نشوان الحميري، الحور العين، ص ١٩٧؛ المقرئ، اتعاظ الخنفا، ص ٦٨،

(١٩) الحمادي اليماني، كشف أسرار الباطنية، ص ٢٥، البهاء الجندي، السلوك، ص ١٤٠

(٢٠) النعمان، افتتاح، ص ٣٣،

(٢١) المصدر ذاته، ص ٣٣،

(٢٢) الحمادي، كشف، ص ٢٢،

(٢٣) الجندي، السلوك، ص ١٤٠،

(٢٤) من هؤلاء: أبي الفداء، المختصر، ج ٢، ص ٦٤؛ يحيى، غاية الاماني، قسم ١، ص ١٩١؛ نشوان، الحور العين، ص ١٩٧؛ الشرقي، اللآلي المضئية، ج ٢، ورقة ٧٧، ابن خلدون، العبر، ج ٣، قسم ٣، ص ٧٦٠؛ بن الاثير، الكامل، ج ٨، ص ٣٠؛ المقرئ، اتعاظ الخنفا، ص ٦٨؛ الهمداني الصليحيون. ص ٣٠،

(٢٥) Daftry, The Ismailis, P. 118

(٢٦) النعمان، افتتاح، ص ٣٨، ٤٧؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ص ٦٨، ادريس،

عيون الأخبار، ج، ٤، ص ٦٣٠،

(٢٧) ذكر ابن خلدون في حديثه عن الاسماعيلية مايلي: ومن هؤلاء الاسماعيلية

القرامطة، واستقرت لهم دولة في البحرين في أبي سعيد الجنابي وبنه ابي

القاسم الحسين بن فروخ بن حوشب الكوفي داعي اليمن لمحمد الحبيب، ثم

ابنه عبد الله ويسمى المنصور... العبر، ج، ٤، قسم، ١، ص، ٦٢،

(٢٨) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ص، ٢١٤،

(٢٩) ويشد عن هؤلاء مصطفى غالب الذي يذكر أن سنة ولادة ابن حوشب

كانت في ٥٢٣٠هـ، ولكنه لا يشير إلى المصدر الذي أخذ عنه هذا التاريخ،

وربما استنتج ذلك عن طريق التخمين. اعلام الاسماعيلية، ص ٢٣٣،

(٣٠) النعمان، افتتاح، ص، ٤٤؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ص ٦٨، والخطط ج، ٢،

ص ١٦٠،

(٣١) انظر النعمان، افتتاح، ص ٣٣ - ٣٨،

(٣٢) المصدر ذاته، ص، ٣٣،

(٣٣) النعمان، افتتاح، ص، ٣٣؛ وأدريس، عيون الأخبار، ج، ٤، ص، ٦٢٥،

(٣٤) المصدر ذاته، ص ٣٣ - ٣٨،

V.Ivanow, A Guide to Ismaili Literature, P.18& Ivanow, (٣٥)

OP. Cit., P.18

Ivanow, OP.Cit. p.18. (٣٦)

(٣٧) ان التشكيك بصحة انتساب محمد المهدي، مؤسس الدولة الفاطمية وأول

الخلفاء الأئمة، إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، سادس أئمة الشيعة،

لم يظهر بشكل رسمي إلا بعد صدور محضر بغداد الشهير عن الخليفة القادر

بالله العباسي سنة ٤٠٢/١٠١١م زمن الخليفة الامام الحاكم بأمر الله

الفاطمي، ويطعن هذا المحضر بصحة النسب الفاطمي للحاكم بامر الله، بشأن هذا المحضر انظر:

ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ج، ١١ ص ٣٤٥ - ٣٤٦؛ المقرئ، اتعاظ الخنفا، ص ٥٨ - ٥٩،

وبعد صدور المحضر انقسم المؤرخون حول نسب الخلفاء الفاطميين إلى ثلاث فئات: الفئة الأولى تطعن بنسب المهدي وترى أنه ينتسب إلى ميمون القداح مؤسس الفرقة الميمونية، ومن هؤلاء:

ابن سعد، صلة تاريخ الطبري، ص ٥٢؛ ابن النديم، الفهرست، ص ١٨٦؛ ابن عساكر، التاريخ الكبير، ج، ٤ ص ٢٩٢؛ العمري، مسالك الأبصار، ج، ١٦، قسم، ١، ص ٥٦؛ ابن المؤيد، أبناء الزمن، ص ٣٨؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، قسم، ١، ص ١٩١؛ أبي الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج، ٢، ص ٦٤؛ ابن الوردي، ثمة المختصر، ج، ١، ص ٢٥١؛ الحمادي، كشف، ص ١٨، ١٩؛ البهاء الجندي، السلوك، ص ١٤٠؛ ابن تفرج، بردي، النجوم الزاهرة، ج، ٤ ص ٧٥؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٩١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج، ١١ ص ١٨٠؛ الشرفي، اللآلئ المضية، ج، ٢، ورقة ٨٤؛ القرطبي، أخبار الدول، ص ١٨٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج، ٢، ص ٣٠١ - ٣٠٢؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج، ١، ص ١٩٠ - ١٩١،

والفئة الثانية تؤيد صحة النسب الفاطمي وهم من المؤرخين السنة الذين حاولوا الرد على أقوال الفئة الأولى ومنهم:

محمد بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص ٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج، ٨، ص ٢٦؛ ابن خلدون، العبر، ج، ٣، قسم، ٣ ص ٧٥٧؛ المقرئ، الخطط، ج، ٢، ص ١٥٩، اتعاظ الخنفاء ص ٢٥ - ٤٠،

أما الفئة الثالثة فهم المؤرخون الذين ينتمون إلى الحركة الفاطمية، وعاشوا في فترة زمنية قريبة جداً من عهد تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب، ولا يظهر في

كتاباتهم أدنى شك بصحة نسب محمد المهدي، ومنهم:

جعفر بن منصور اليمن، كتاب الفرائض وأحوال الدين، فصل منه نشره الهمداني في: في نسب الخلفاء الفاطميين، ص ١١؛ القاضي النعمان افتتاح الدعوة، ص ١٤٩ وما بعدها؛ اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص ١٠٧ - ١٣٣، النيسابوري، استتار الامام، ص ٧٩ - ١٠٧،

وأما المؤرخون المحدثون، فقد أوردوا مختلف الروايات التي تؤيد صحة النسب وتلك التي تشكك فيه، وانقسموا بين مؤيد ومشكك ومتردد في قبول أحدهما، فمن المؤيدين لصحة النسب:

عارف تامر، القرامطة، ص ٥٣؛ وتاريخ الاسماعيلية، ج ١، ص ٢٦٨ - ٢٧٠ مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الاسماعيلية، ص ١٨٢ عطية مشرفه، أحساب الدولة الفاطمية، مجلة المقتطف، مجلد ١٠٨، ص ٥٦ - ٥٩،

W.Ivanow, Ibnal Qaddah, P. 120 .P.Mamour, Polemics PP.68
F.Daftary, The Ismailis , P.118 وما بعدها , P.551

ومن الطاعنين بصحة النسب:

العرشي، بلوغ المرام، ص ٢١ - ٢٢؛ العصامي، سمط النجوم، ج ٣، ص ٤٠٨
B.Lewis, The Origins of Ismailism, pp, 71 ,73 J.Walker,
«Al - Mahde», Eny.og - Islam, vol.3p.120 دوزي ودي غويه ووردت
أراؤهما في تاريخ الدولة الفاطمية لحسن إبراهيم حسن، ص ٥٩ - ٦٠، ومن المترددين في قبول صحة النسب:

حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٥٧ - ٦٧؛ عبيد الله المهدي، ص ٨٢؛ وستفلد، وقد ورد رأيه في تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٥٩،

W.MUIR. The Caliphate .P.566 D.S.Margoliouth. the Fatimids,
Ency-Britannica, II th.ed vol.10p.202

(٣٨) وقد أشار الداعي عماد الدين ادریس إلى ذلك فقال: وكان الدعاة أيام الأئمة المستورين منذ استتار الامام محمد بن اسماعيل (ع) يسمونهم بغير أسمائهم، ويختلفون في الاسماء اخفاء لأمر الله، وسترأ لاوليائه لتغلب الأضداد، وقوة أهل العناد، ولذلك وقع الاختلاف في الأئمة المستورين، وكثر خوض الخائفين وقول القائلين، عيون الاخبار، ج، ٤، ص ٣٩٣ - ٣٩٤،

(٣٩) وقد تم قبول صحة النسب بناء على روايات أولية اسماعيلية وردت عن أشخاص عاشوا مع الامام محمد المهدي، مؤسس الدولة الفاطمية وآخر أئمة دور الستز وأول أئمة دور الظهور، و في زمن قريب منه؛ أي قبل ظهور مشكلة النسب الفاطمي بزمان طويل، ولذلك فهي بعيدة عن تهمة الغرض والغاية لأنها لم تكتب عن شيء مشكوك فيه بل أوردت وقائع من اجل التاريخ، ثم أن مؤرخين غير اسماعيليين دافعوا عن صحة هذا النسب وناقشوا مختلف الروايات الطاعنة، وردوها لأنه وضعت من اجل إضعاف هبة الخلفاء الفاطميين الذين اقتطعوا الجزء الأكبر من الامبراطورية العربية الاسلامية الخاضعة لبني العباس، بعد فشل خلفاء بغداد في مقاومة الخلافة الفاطمية بالقوة، انظر آراء الفئة الثانية من المؤرخين المسلمين السنة في الهامش (٣٧) أعلاه.

ويشأن أسم الامام أنظر: ادریس، عيون الاخبار، ج، ٤، ص ٦١٩؛ وذكر غالب أن أمانته كانت من ٢٦٥ - ٥٢٨٩، تاريخ الدعوة، ١٦٩ - ١٧١؛ ونسب عارف تامر إلى هذا الامام تلخيص رسائل أخوان الصفا برسالة موجزة سماها جامعة الجامعة، القرامطة، ص ٤٢،

(٤٠) يذكر كل من غالب وتامر أن سنة وفاة الامام أحمد بن عبد الله، والد الحسين بن أحمد، هي ٨٧٨/٥٢٦٥ م، وإذا صح ذلك فيكون لقاء ابن حوشب

بالامام المستور وتحولته إلى الاسماعيلية قد تم آواخر تلك السنة أو أوائل السنة التالية: تاريخ الدعوة، ص ١٦٧

(٤١) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٣٨،

(٤٢) البصير ذاته، ص ٣٩،

(٤٣) ويعني الامام الحسين بن أحمد، لأن الحمادي ينكر صحة النسب الفاطمي.

(٤٤) الحمادي، كشف اسرار الباطنية، ص ٢٢، انظر أيضاً العندي، السلوك، ص ١٣٩،

(٤٥) يحيى بن الحسين، غاية الاماني، القسم الأول، ص ١٩١؛ ابن المؤيد، ابناء الزمن، ص ٣٦؛ الخرزجي، المسجد، في زكاء أخبار القرامطة، ص ٤١٥،

(٤٦) الهمداني، الصليحيون، ص ٣٠، حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٣١؛ غالب، أعلام، ص ٢٣٣،

(٤٧) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٣٢، ٣٨،

(٤٨) أدریس، عيون الاخبار، ج ٤، ص ٦٢٥، ٦٣٠،

(٤٩) النعمان، افتتاح ص ٣٥ ٣٦؛ ادریس، عيون، ج ٤، ص ٦٢٧، ٦٢٨،

(٥٠) المصدران السابقان، ص ٣٧ ٣٨؛ ص ٦٣٠،

الفصل الثالث

١ - دعوة ابن حوشب في اليمن

١ - تهيئة ابن حوشب للقيام بالدعوة:

كانت الصفات التي تميز بها ابن حوشب، كالخبرة والدراية والطاعة والذكاء، قد فتحت له الأبواب ليتدرج في مراتب الدعوة بسرعة، وأتاح له الفرصة ليتبوأ مكانة مرموقة جعلته ثقة الامام الحسين بن أحمد وقد وجد هذا الامام في ابن حوشب الرجل المناسب لإرساله إلى اليمن لنشر المذهب الاسماعيلي والتبشير بقرب ظهور المهدي، فكان يلح لابن حوشب بان وقت ظهور الدعوة لم يعد بعيداً، وبأن مكان هذا الظهور سيكون في اليمن. وينقل القاضي النعمان عن ابن حوشب قوله في ذلك: «وكان [الامام] يخصني ويقرني ويرمز بقرب الأمر ودنو العصر ويقول في كثير من كلامه: البيت يماني والركن يماني والكعبة يمانية، ولن يقوم هذا الدين ويظهر أمره إلا من قبل اليمن (١)».

وما قاله له أيضاً أن الله عز وجل قسم لليمانية ألا يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنصرهم (٢)، ومثل هذه الاشارات والرموز التي استعملها الامام الحسين بن أحمد مع ابن حوشب كانت بمثابة الاعداد البنفسجي الذي انتهجه أئمة الحركة الفاطمية مع دعائهم لوضعهم في المناخ الذي سيعملون فيه. وما أن شعر الامام

بدنو وقت ظهور الدعوة حتى قام بجس نبض ابن حوشب لمعرفة ردة الفعل عنده بالنسبة لما يجول في خاطر الامام الحسين بشأن الدعوة الاسماعيلية في اليمن، قال ابن حوشب:

ثم قال لي يوماً: يا أبا القاسم هل لك في غربة في الله؟ قلت: يا مولاي، الأمر إليك فما أمرتني به امتثلته، قال: أصبر كأني برجل قد أقبل إلينا من اليمن، وما لليمن إلا أنت، فقلت: استعين بالله على ما يرضيك. (٣)

وهكذا أصبح ابن حوشب على علم بالمهمة التي أعده لها الامام الحسين بن أحمد، وهي القيام بالدعوة الاسماعيلية في اليمن، وأن البدء بهذه الدعوة مرهون بوصول رجل يماني سيكون الساعد الأيمن لابن حوشب في مهمته، وهو علي بن الفضل. ولا شك في أن وصول علي ابن الفضل إلى الكوفة سنة ٢٦٧/٨٨٠م كان بمثابة اشارة البدء لانطلاقة الحركة الفاطمية في اليمن، لأن ابن الفضل اليمني كان على علم ودراية بامور ذلك القطر النائي، وتحوّله إلى الاسماعيلية سهّل مهمة ابن حوشب. ونظراً لأهمية شخصية ابن الفضل بالنسبة لانطلاقة الحركة الفاطمية في اليمن، نرى أنه لابد من التعرف على هذه الشخصية ولو بشيء من الاختصار.

أ- علي بن الفضل وتحوّله إلى الاسماعيلية:

ورد في كتاب افتتاح الدعوة قول القاضي النعمان في علي ابن الفضل: «وكان الرجل من أهل جيشان - مدينة باليمن - شاب جميل من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار، يقال له أبو الحسن علي بن الفضل...» (٤)

وجاء في روايات أخرى أنه يدعى محمد بن الفضل (٥)، وذكر بعضهم أن «أصله من ذرية ذي جدن، والأجدون من سبأ صهيب وأصله من جيشان» (٦) وقال آخرون «بأنه خنفرى النسب من ولد خنفر بن سبأ الأصغر... كان أديباً ذكياً شجاعاً فصيحاً...» (٧) وذهب بعضهم إلى نعتة بعلي بن الفضل الجدني الخنفرى الجيشاني. (٨) وتجمع المصادر على أنه كان رجلاً ذكياً وشجاعاً، وأنه كان من ذوي النعمة واليسار ومتشيعاً من أتباع الاثني عشرية، وهو يشبه بذلك ابن

حوشب، أي أنه من الشخصيات التي يرغب أئمة الاسماعيلية بضمها إلى دعوتهم وتحويلها إلى مذهبهم.

وذهب ابن خلدون والمقرزي إلى القول بأن ابن الفضل كان من شيعة الامام المستور المقيمين باليمن، ومن هؤلاء قوم يعرفون بيني موسى، وهذا يعني أن ابن الفضل كان اسماعيلي المذهب قبل مجيئه إلى الكوفة. لكن هذه الاشارة موضع شك لأن المصادر الاخرى، الاسماعيلية وغير الاسماعيلية، تجمع على كونه من الشيعة الاثني عشرية. (١٠)

أما قصة اتصاله بالامام المستور، الحسين بن أحمد، وتحوله إلى الاسماعيلية، وأجتماعه، من ثم، بابن حوشب، فإنها لا تختلف في تفاصيلها عن قصة ابن حوشب. وقد وردت تفاصيلها عند كل من القاضي النعمان، (١١) والحمادي اليماني، (١٢) ونقلها عن الأخير البهاء الجندي، (١٣)، مع اختلاف في العبارة والاسلوب، لأن القاضي النعمان اسماعيلي المذهب، بينما الحمادي اليماني متعصب ضد ابن الفضل ودعوته. غير أن ابن خلدون وبعض مؤرخي اليمن يشذون عن بقية المؤرخين الذين اعتمدوا رواية كل من القاضي النعمان والحمادي اليماني، فقد جاء في معرض حديث ابن خلدون عن ابتداء الدولة العبيدية (أي الفاطمية) في المغرب قوله:

...وكان محمد الحبيب (١٤) ينزل سلمية من أرض حمص، وكان شيعتهم يتعاهدونه بالزيارة إذا زاروا قبر الحسين، فجاء محمد بن الفضل من عدن لآفة من اليمن لزيارة محمد الحبيب، فبعث معه رستم بن الحسن بن حوشب لاقامة دعوته باليمن. (١٥)

وهذا يعني أن ابن الفضل كان من أتباع الامام المستور، وأنه قصد سلمية لزيارته، وأنه لم يكن هناك أي تغيير في المذهب بالنسبة لابن الفضل، وهو ما قلنا أنه موضع شك، لأن المصادر الأخرى تجمع على أن ابن الفضل من أتباع الاثني عشرية.

وذهب بعض المؤرخين اليمنيين إلى أن ابن الفضل اتصل بالامام المستور، ويسمونه ميمون القداح، هو وأبن حوشب سوية، وأن ميمونا أوهمها بأن المهدي

ولده، وأقنعهما بقبول مذهبه واتخذ عليهما العهود والمواثيق ثم بعثهما إلى اليمن يدعوان لولده، وكان ذلك سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م أو ٢٩١هـ/٩٠٣م. (١٦) وأغرب الدواداري فذكر أن ابن الفضل لم يتصل بالامام المستور وابن حوشب في الكوفة، بل أن ابن حوشب هو الذي اتصل به في اليمن، وأن ابن الفضل استجاب لدعوته وقوي أمره به. (١٧)

أما رواية القاضي النعمان فملخصها أن ابن الفضل حج إلى مكة سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م، وبعد انقضاء الحج سار إلى الكوفة لزيارة ضريح الامام الحسين كما هو الحال مع سائر أهل الشيعة. وهناك أظهر الندم والأسف والبكاء مما لفت نظر أحد دعاة الامام المستور الذي راح يراقبه لعدة أيام، ولما رأى اجتهاده اجتمع به وألقى إليه ببعض المسائل مما جعل ابن الفضل يركن إليه ويستمع لقوله، ولما سأله هذا الداعي،

أرايتك لو أدركت صاحب هذا القبر الذي تبكي عنده وتذكر فضائل صاحبه ما كنت صانعاً في أمره؟ قال: كنت والله أضيع خدي وأقبل الأرض التي يطوئها وأتبرك بفضل وضوئه وأكون لو شهدت مصرعه أول صريع بين يديه. (١٨)

ثم ألح الداعي إلى الامام صاحب الزمان، مما جعل ابن الفضل يتعلق به، فوعده الداعي أن يراه في اليوم التالي ليوصله إلى الأمام، وانقطع عنه لمدة طويلة، ولما رأى صبره، اجتمع به مره ثانية وأخذ عليه العهد وأوصله إلى الامام. (١٩)

وتحققت باعتراف ابن الفضل للاسماعيلية، وهو ما عليه من قوة الشخصية والذكاء والشجاعة والاخلاص، تحققت نبوءة الامام الحسين بن احمد عندما قال لابن حوشب ذات يوم «اصبر كأني برجل قد أقبل إلينا من اليمن، وما ليمن إلا أنت» (٢٠) وبدأت الاستعدادات الفعلية لبدء الدعوة في اليمن، وجمع الامام بين ابن حوشب وابن الفضل في مجلسه بعد أن اصطحبهما معه إلى سلمية، مقر إقامته، حيث أجباً على تحصيلهما للعلوم الاسماعيلية. (٢) وكان يحدثهما بشأن الدعوة، ويسأل ابن الفضل عن أخبار اليمن وأحواله، وأحوال شعبه وحكامه وملوكه. وقد طمأنه ابن الفضل بقوله: «والله ان الفرصة ممكنة في اليمن، وان

الذي تدعو إليه جائر هنالك وناموسنا يمشي عليهم وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام، وتشيت الرأي وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية.» (٢٢)

وكان الامام يخبرهما بأنه عند تمام الوقت وانقضاء ستة أدوار من الهجرة النبوية سيرسلهما إلى اليمن ليقوما بالدعوة إلى ولده محمد المهدي الذي «سيكون له ولديته عز وسلطان». (٢٣)

ب التحضير للدعوة والرحلة إلى اليمن:

وهكذا أصبحت لدى الامام الحسين بن أحمد الوسائل الممكنة لنشر دعوته في اليمن بعد انضمام ابن حوشب وأبن الفضل إلى دعوته وذلك بفضل ما اوتيت به هاتان الشخصيتان من ميزات الذكاء والشجاعة والطاعة والاخلاص. فذكر ابن حوشب بما كان قد قاله له من قبل، وقال له بعد انضمام ابن الفضل اليهما:

يا أبا القاسم، هذا الذي كنا ننتظره، فكيف رأيك في الذي عرضت عليك من أمر اليمن؟ قال: يامولائي أنا على ما قلت لك والأمر إليك، قال: اعزم على أسم الله، فوالله ليظهرن الله أمرك ولتصدرن الدعاة إلى آفاق الأرض عنك. (٢٤)

ثم ان الامام دعا ابن الفضل إليه وسأله عن موقع عدن لاعة، المكان الذي نزله الامام علي بن ابي طالب خلال سفارته للرسول (ص) إلى اليمن، والذي بقي مركزاً من مراكز الشيعة منذ ذلك الحين، ولما لم يكن يعرف المكان قال للامام: «عسى ان تكون أردت عدن أين؟ قال لا إلا عدن لاعة، قال: ما أعرفها» (٢٥) وهذا يدل على ان الأئمة كانوا على اطلاع بأحوال الشيعة في المناطق المختلفة، وذلك بفضل العيون التي كانوا يثونها في مختلف الاقطار لمثل هذه الغايات. ولذلك فإن الامام المستور الحسين بن أحمد أكد على داعيته ابن حوشب بالذهاب إلى اليمن والنزول في عدن لاعة، وليس في أي مكان آخر، وقال له: «إلى عدن لاعة فاقصد وعليها فاعتمد، فمنها يظهر أمرنا، وفيها تعز دولتنا، ومنها تفرق دعائنا» (٢٦).

وقام الامام المستور، ضمن هذه الاستعدادات لبدء الدعوة، بتوجيه الارشادات والتعليمات إلى كل من ابن حوشب وابن الفضل وأوصى كل واحد منهما بأخيه على انفراد، وعاهد بينهما، فقال لابن حوشب: «الله الله - مرتين - صاحبك، يعني ابن فضل، احفظه وأحسن إليه وامره بحسن السيرة فإن له شأنًا عظيمًا ولا آمن عليه» (٢٧). ثم قال لعلي ابن الفضل «إن هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم، فانظر كيف تصحبه» (٢٨) ويذكر القاضي النعمان أن الامام أعطى ابن حوشب كتاباً فيه أصول ورمز وهو بمثابة دستور يتبعه في نشر الدعوة في اليمن، ومما قال له فيه: «إن لقيت من هو ألحن بالحجة منك فانغمس له في الباطن، قال: وكيف ذلك، قال: تقطع الكلام وتره أن تحت ما تريد الجواب به باطناً لا يمكنك ذكره، فتختجز بذلك منه- إلى ان تنهيا لك الحجة عليه» (٢٩)

وأصبح الداعيان بذلك على أهبة الاستعداد لرحيل إلى اليمن بعد أن تزودا بارشادات الامام وتعليماته فقام ابن حوشب بتوديع أهله وأصحابه، وخرج هو وصاحبه ابن الفضل يقصدان مكة أواخر سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م، بحيث وافق خروجهما خروج الحجاج في ذلك الموسم من أجل ابعاد الشكوك عنهما، فبقى مهمتهما في مأمن عن أعين العباسيين الذين كانوا يترصدون حركات الأئمة ودعاتهم في ذلك الوقت. وسلكا في مسيرهما طريق الحج المعروفة التي تمر في القادسية، وقد وصف ابن حوشب شعوره عندما خرج من القادسية، فقال:

ولما خرجت من القادسية أوجست خيفة، فأصغيت إلى قال اسمعه، فسمعت حادياً يقول:

يا حادي العيس مليح الزجر

بشر مطاياك بضوء الفجر

قال: فسررت به واستحسنيت ذلك الفأل لما سمعته. (٣٠)

وصل الداعيان مكة في نهاية ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م والحجاج قد وفدوها من جميع الأقطار، بما في ذلك اليمن. واستغلاً وجودهما هناك فاختلطا مع اهل اليمن

وتنسما منهم الأخبار حول أوضاع بلادهم السياسية والاجتماعية، وعلمنا أن محمد بن يعفر الحوالي، أمير صنعاء، قد اعتزل الحكم وأظهر التنسك وردّ ما اقتطعه من الناس وأنصف الظلامات، مما أوقع البلد في الفوضى والارتباك حتى استحث أحد الشعراء بيت الحوالي لتدارك الأمر، فقام به أسعد بن أبي يعفر، ابن أخي محمد المذكور. (٣١)

وبعد انقضاء موسم الحج، افترق الحجاج، وسارت كل جماعة إلى ديارها، وانصرف ابن حوشب وابن الفضل مع جماعة أهل اليمن وساروا معهم حتى دخلوا اليمن سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م (٣٢). وعندما وصلا بلدة غلافقة على ساحل البحر الأحمر، افترقا بعد أن تعاهدا على الاتصال ليبقى كل واحد منهما على اطلاع بأحوال الآخر، وسار ابن حوشب جنوباً ووجهه عدن لاعة (٣٤) عن طريق الجند، (٣٥) بينما سار ابن الفضل إلى بلاد يافع القريبة من الجند، وكان ابن حوشب يسأل من يصادفه من أهل اليمن عن عدن لاعة، ولكنه لم يصادف من يعرف المكان (٣٦)، فقرر الذهاب إلى عدن أين (٣٧)، لعله يجد هناك من يدلّه على المكان الذي يقصده. وحمل معه بعض القطن ليظهر بمظهر التجار ويخفي حقيقة أمره. والتقى في عدن أبين جماعة من التجار من قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى، وهم من عدن لاعة، فسأل بعضهم عن عمله، فأخبرهم أنه من التجار، فأنكروا ذلك عليه وقالوا: لست بتاجر وإنما انت رسول المهدي، وقد بلغنا بحرك، ونحن بنو موسى، ولعلك قد سمعت بنا فانبسط ولا تحتشم، فإنا إخوانك، فإظهار أمره، وقوى عزائمهم (٣٨) ثم ذكروا له وجود شيعة في مكان يدعى عدن لاعة، فسرّ ابن حوشب عندئذ وسألهم أن يدلوه على المكان. وتوجّه إلى هناك فأخبره أهلها أنه كان هناك رجل يدعى أحمد بن عبد الله بن خليع كان له علم فيهم، وكان ينتظر وصوله، لكن أمره وصل إلى ابن أبي يعفر فحبسه ومات بالحبس. فنزل ابن حوشب في أحد دور ابن خليع وتزوج ابنة صاحبه (٣٩).

أما ابن الفضل فإنه اتجه إلى جيشان، (٤٠) لكن المنطقة لم تعجبه فخرج إلى شرو يافع (٤١) حيث وجد المكان مناسباً لإقامة الدعوة فيه، فنزل هناك وأخذ بالتعبّد والتنسك. (٤٢)

٢ - مراحل الدعوة:

ذكرنا ان الامام الحسين بن أحمد زوّد داعيته ابن حوشب بالارشادات والتعاليم الواجب اتباعها خلال قيامه بنشر الدعوة في اليمن كما زوّده بكتاب فيه أصول ورمز أشار له فيه إلى بعض الأساليب التي تسهّل نشر هذه الدعوة وتساعد الناس على تقبلها (٤٣). وكون الامام المستور الحسين بن أحمد هو المسؤول المباشر عن هذه الدعوة، فهذا يجعلها امتداداً، وجزءاً من التنظيم العام للحركة الاسماعيلية. والمعروف عن هذه الحركة أنها من أكثر الحركات الشيعية اهتماماً بالدعاية وتنظيمها، وجعلوها من صميم عقيدتهم «وفلسفتهم، كما جعلوا الدعاة من حدود الدين وذلك إمعاناً منهم في اسباغ الفضائل على هؤلاء الدعاة الذين يشرون بالأئمة وبعقيدتهم المذهبية حتى يستطيع الداعي ان يوجه اتباع المذهب كيفما شاء، وأن يكون كلامه لهم من صميم المذهب، فلا بحاجة أحد ولا يخالفه إلا مارق عن المذهب» (٤٤)

وقد نظموا دعوتهم على نظام دورة الفلك، «وقالوا إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة كأيام الأسبوع والسماوات السبع والكواكب السبع، والنقباة تدور أحكامهم على اثني عشر» (٤٥)

وبناء على ذلك جعلوا العالم، مثل السنة الزمنية، اثني عشر قسماً يدعى كل واحد منها جزيرة ويوجد فيها داعياً مسؤولاً يسمى داعي دعاة الجزيرة، والشهر ٣٠ يوماً، فجعلوا لكل داعي جزيرة ٣٠ نقيباً مساعداً له ثم إن اليوم مقسم إلى ٢٤ ساعة، ١٢ بالنهار و ١٢ بالليل، فجعلوا لكل نقيب ٢٤ داعياً، ١٢ بالليل وهؤلاء مستترون، و ١٢ بالنهار وهؤلاء ظاهرون. (٤٦)

ولا ندري إذا كان هذا النظام قد طُبّق في اليمن أثناء قيام ابن حوشب بالدعوة هناك، إذ ليس بين أيدينا مصادر تشير إلى مثل ذلك. لكن لدينا إشارة واحدة إلى هذه المراتب في اليمن، ليس في زمن ابن حوشب، وإنما في عهد الصليحيين في القرن الخامس الهجري. وقد أوردها الحمادي اليماني، القاضي المشهور الذي قيل أنه دخل في هذه الدعوة في عهد الصليحيين ثم خرج منها بعد أن اطلع عليها وعلى أسرارها (٤٧). لكننا لانطمئن إلى هذه الرواية لأن

الحماذي متعصب ضد هذه الحركة، ولأنها تعطي وجهاً واحداً من الصورة، بينما يبقى الوجه الآخر مجهولاً حتى تقع على مصادر فاطمية تكشفه وتوضحه.

وفيما يتعلق بدعوة ابن حوشب في اليمن، فإننا نلاحظ أنها انقسمت إلى دورين متميزين من حيث الأسلوب والطريقة التي اتبعها في نشر دعوته وكسب الناس إليه: الدور السلمي، وهو دور الستر، وفيه اتبع أسلوب التبشير عن طريق الحجة والاقناع، وامتد حوالي الستين؛ والدور الحربي، وهو دور الظهور، وفيه اتبع الأسلوب الحزبي، ونشر الدعوة بقوة السيف، وفتح البلاد وحارب الأمراء المعادين، وأعلن الدعوة للإمام المهدي، وامتد هذا الدور حتى وفاة ابن حوشب في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وسنبعث الحركة وتطوراتها في اليمن على ضوء هذا التقسيم. لكن، وقبل المضي في ذلك، تجدر الإشارة إلى أن معظم مصادرنا هنا هي من الاتجاه المعادي لدعوة ابن حوشب، كما أننا نلاحظ تحولاً في التركيز من ابن حوشب إلى علي بن الفضل، وخاصة في الدور الثاني من الحركة، لأن ابن الفضل يمني التبعية، وأشتهر بشجاعته وحروبه الكثيرة؛ كما أنه لفت أنظار المؤرخين بعد فتحه لمدينتي صنعاء والمذيخرة عاصمتي دولتي بني يعفر وبني زياد، وكذلك بعد ارتداده عن مذهب الاسماعيلية ونقضه لبيعة المهدي، ومحاربه لرئيسه في الدعوة، ابن حوشب.

آ. الدور السلمي:

كان الدين هو المحور الرئيسي الذي دارت حوله الحركة الفاطمية في اليمن في هذا الدور، لأنه الطريق الأقرب للوصول إلى العامة في ذلك الوقت. (٤٨)

ولذلك عمل الداعيان بوصية الامام المستور الحسين بن أحمد، فأظهر كل منهما الزهد والتقشف والصلاح ابتغاء الوصول إلى غايته، وكان ذلك يعني إظهار التمسك بالشرعية، والتظاهر بالتفقه بالدين، والتضلع في المذاهب المختلفة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وثابر الداعيان على إظهار الورع والتدين حتى صار «كل واحد منهما مسموع القول في جهته، وقصدهم الناس، وجمعوا الصدقات وعظم شأنهما» (٤٩)

وقد مرّ معنا أن ابن حوشب استقرّ في عدن لاعة، كما أوصاه الإمام المستور الحسين بن أحمد، وكانت هذه المدينة مركزاً من مراكز التشيع. ومع ذلك، فإنه لم يُظهر أمره دفعه واحدة، بل تخفى وتسترّ، وتظاهر بالتقوى والورع، وأدعى الفقه والسنة مما كان له تأثير كبير على عامة الناس، فأقبلوا عليه من كل ناحية ومالوا إليه (٥٠). وحتى خاصته فإنه لم يظهر لها في البداية أنه من اتباع الإمام الاسماعيلي الحسين بن أحمد، بل كان يدعو للمهدي من آل محمد من غير تسمية أو تخصيص (٥١). وكان هدفه من ذلك تقرب الشيعة إليه لكي تصبح كلمته مسموعة عندهم، وعندها يستطيع الاعتماد عليهم في نشر الدعوة.

ولم تلبث أن ظهرت نتائج هذه السياسة الحكيمة والتصرف الحسن، إذ مالت إلى ابن حوشب مخاليف المغرب وهي: لاعة، أردان، حجة، عيان، وبلدان البيضاء، وأصبح نفوذه قريباً «فأمرهم بجمع زكاة أموالهم واستعمل عليها منهم ثقات وعدولاً يقبضون أعشار أموالهم على ما يوجبه الفقه» (٥٢). كما أنه أصبح من القوة بحيث تمكن من إخبار هؤلاء التابعين بأنه قدم عليهم داعياً للمهدي الذي بشر به رسول الله (ص)، وقد حالفه منهم جماعة صاروا نواة شيعة في تلك المناطق (٥٣). ولاشك أن هذه الخطوة كانت هامة وأساسية لتقوية مركز ابن حوشب. فالمال كان من الحاجات الأساسية التي يتطلبها القيام بمثل هذه الأعمال، وقد ضمنت أموال الزكاة مورداً حيويّاً لابن حوشب يستطيع الاعتماد عليه بعد أن نفذت الأموال التي جاء بها من الكوفة. كما أنها كانت القاعدة التي بني عليها خططه التالية. فقد حدث أن هُجم بعض أتباع ابن حوشب وقتلوا فقال لأصحابه: «قد رأيت أن تبنوا حصناً منيعاً يكون لبيت مال المسلمين، فعزموا على ذلك ولم يخالفوه فيما أمرهم به فأجمعوا على بناء موضع يقال له (عبر محرم). وهو جبل تحت مسور وهو موضع بني العرجي، قوم من سلاطين المغرب همدان، فلما بني الجبل وحصّنه حمل إليه كل ما يحتاج إليه بعد أن سارع إلى إرادته خمسمائة رجل أخذ عليهم العهود والمواثيق، ثم أنه بعد ذلك ارتكب الحصن هو وصحابه ونقلوا حريمهم وأموالهم» (٥٤).

وقد تقوى مركز ابن حوشب بعد بناء الحصن الذي أطلق عليه أسم دار
الحجرة (٥٥)، وعلق الممداني على ذلك فقال: لبناء هذه الحصون غرضان: فالغرض
الأول الظاهر هو حفظ أموال الزكاة، ولكن الغرض الحقيقي هو اتخاذ قواعد
ارتكاز ييسر منها، الدعاة نفوذهم السياسي والمذهبي. (٥٦)

وعندما أنكر الناس عليه صعوده الجبل مع أصحابه وتجمعوا لقتاله، استطاع
ابن حوشب أن يقاتلهم ويهزم جموعهم ويقتل خلقاً كثيراً منهم، ولم تنفع
النجادات التي وصلت من صاحب صنعاء وغيره. (٥٧)

وكان من أثر ذلك أن إزداد نفوذ ابن حوشب، وشاع ذكره بين القبائل
اليمنية، وعظم امر دعوته ودخل أناس كثيرون فيها. (٥٨) ومن هذه التحصينات
انطلقت الدعوة حيث وجد رجال القبائل ملجأ لهم، وبدأت بالتسرب إلى المناطق
المجاورة، وهذه استراتيجية يرى د.دفترى أنها اتبعت وطبقت في كل من فارس
وسورية بشكل كامل (٥٩).

أما علي ابن الفضل فقد سبق القول انه استقرّ في سروافع واتخذها مركزاً
لانطلاقة دعوته. (٦٠) واتبع ذات اسلوب ابن حوشب فبنى مسجداً على قمة
جبل من جبال المنطقة، وأخذ بالتنسك والعبادة وإظهار التقشف والتدين والورع،
فاقتن به أهل تلك الناحية، وجعلوا يأتونه بالطعام فلا يأكل منه شيئاً، وإن فعل
فلا يأكل إلا اليسير منه (٦١). ولما واظب على هذا السلوك اقتنع أهل تلك
الناحية، بصدق إخلاصه للدين وتقواه وورعه، فسألوه أن ينزل من الجبل ويسكن
معهم وألخوا عليه في ذلك، فرفض في بداية الأمر، ولما رأى شدة إلحاحهم قال:
«لا أفعل هذا ولست أسكن بين قوم جهال ضلال إلا أن يعطوني العهود والمواثيق
أن لا يشربوا الخمر ففعلوا له ذلك وأنهم ينكزون المنكر وينكرون على أهل
المعاصي بأجمعهم فلم يزل يخذعهم بعبادته حتى بلغ إلى ارادته» (٦٢).

ولما أطمأن إلى جبههم له، وأن هذا الحب قد تمكن في قلوبهم، طالبهم
بجمع أموال الزكاة ففعلوا ذلك عن طيب خاطر، «وأجتمع له شيء جيد منها» (٦٣)
وما إن توفرت لديه الأموال اللازمة لانطلاقة الدعوة، حتى طالب أهل تلك
الناحية ببناء حصن في ناحية سروافع، وفعلوا ذلك أيضاً. وأصبح هذا الحصن

داراً للهجرة له ولأصحابه، ثم سمح لأتباعه بالإغارة على أطراف بلاد ابن أبي العلاء صاحب (أين)، وبين لهم أن «ذلك جهاد لأهل المعاصي حتى يدخلوا في دين الله طوعاً أو كرهاً» (٦٤) وكان من نتيجة ذلك ان ذاع صيته، وقوى أمره بين اهل المنطقة، وصار مسموع القول، وتوافد عليه الناس للدخول في دعوته وطاعته إما خوفاً من قوته المتزايدة، وإما رغبة في القتال للحصول على المغنم والمكاسب المادية. وخلال عامين من بدء الدعوة أصبح لابن الفضل نفوذ لا يقل عن نفوذ صاحبه ابن حوشب، بسبب براعته في استمالة الناس إليه، وأتباعه للأسلوب الذي رسمه له صاحب دعوة اليمن.

ب- الدور الحربي:

هناك اختلاف بين المؤرخين حول تاريخ بدء هذا الدور، فالمؤرخون اليمنيون (٦٥) عموماً يذكرون أن ابتداء الحركة الفاطمية في اليمن كان بعد سنة ٩٠٢/٥٢٩٠م، على عكس ما أورده النعمان وغيره (٦٦) من أنها ابتدأت سنة ٨٨١/٥٢٦٨م. وربما كانت اشارة المؤرخين اليمنيين بهذا الخصوص تتعلق بانتشار الحركة الفاطمية على نطاق واسع بعد سنة ٩٠٢/٥٢٩٠م بحيث راحت تهدد وتستولي على عواصم البلاد اليمنية كصنعاء، والمذيخرة، وزيد وغيرها؛ الأمر الذي لفت انتباه المؤرخين اليمنيين إليها باعتبارها خرجت عن نطاق المحلية، حيث اقتضت بداياتها على بعض المناطق الجبلية النائية. على أننا نرجح ما أورده القاضي النعمان حول بدء الدور الحربي لهذه الحركة، لأنه أقرب زمنياً إلى الحوادث المذكورة من جهة، وينقل أخباره عن الثقات من أصحاب ابن حوشب من جهة أخرى. يقول القاضي النعمان أن ابن حوشب وابن الفضل «دخلا اليمن في أول سنة ثمانٍ وستين ومائتين، فأقاما باليمن ستين يدعوان مستترين، ثم ظهرت الدعوة باليمن سنة سبعين ومائتين» (٦٧) ويذكر في مكان آخر ابتداء دور الظهور، أو الدور الحربي، بأنه كان بعد أن استأذن ابن حوشب الامام المستور الحسين بن احمد بذلك، فيقول: «وفشت الدعوة باليمن وظهر أمرها، واستأذن أبو القاسم في الحرب فأذن له، فابتنى حصناً بجبل لاعة وجيش الجيوش وافتتح مدائن باليمن» (٦٨) وكان ابن حوشب قد أرسل كتباً إلى الامام الحسين

يخبره بنجاح دعوته في الدور الأول فسّر الإمام بذلك، وأرسل إليه بالبيعة لولده المهدي، وردّ ابن حوشب على ذلك بإرسال هدايا وطرائف يمنية واموال جليلة أدخلت السرور على قلب الامام الحسين الذي دعا ولده المهدي وقال له: «هذا أول ثمرة أيامك وبركة دولتك» (٦٩)

١- نشاط ابن حوشب الحربي:

يُلاحظ ان المعلومات المتوفرة لدينا عن نشاط الحركة الفاطمية في اليمن خلال العشرين عاماً الأولى من هذا الدور قليلة نسبياً، فيعد أن إستقرّ في حصن عبر محرم في عدن لاعمه، وضَمينَ ولاء السكان له، أخذ ابن حوشب زمام المبادرة في الهجوم على المناطق المجاورة. وقد ساعده في ذلك جو الفرقة والتناحر السياسي القائم بين مختلف الأمراء والرؤساء القبليين وزعماء العشائر، وهو الجو الذي اتصفت به اليمن في هذه الفترة من الزمن. وأول مكان هاجمه كان جبل الجميمة فاستولى عليه ثم تهيأ لمهاجمة جبل مسور الذي فيه حصن فاير التابع للحوالي أمير صنعاء. ونظراً لمناعة المكان وشدة تحصينه فإن ابن حوشب قام بمكاتبة عشرين رجلاً من أصحاب مأمور الحصن الذين فتحو له باب الحصن ليلاً، ودخله مع اتباعه، وأعطى الأمان لصاحبه.

ولما أخبره العامل بأن معه مالا للسلطان قال له ابن حوشب: «لسنا ممن يرغب في مال السلطان وما طلعت هذ الجبل لأخذ اموال الناس وإنما طلعت لإصلاح الاسلام والمسلمين، خذ مالك فأده إليه» (٧٠)

وقد وجد ابن حوشب في هذا المكان موضعاً استراتيجياً يمكن أن يكون قاعدة لدعوته ومنطلقاً للحملة الأخرى باتجاه المناطق المجاورة. ولذلك أظهر اهتماماً خاصاً بإعادة تحصينه، وبناء ماتهديم من أسواره، وبنى فيه دار الأمرة وسماها بيت ريب (٧١). عندئذ شعر الأمراء المحليون بخطر ابن حوشب المتزايد، فتناسوا خلافاتهم ووجدوا أمرهم تجاهه، وشجعهم في ذلك أمير صنعاء الحوالي. وشنوا على ابن حوشب حرباً ضارية ولكنها لم تسفر عن شيء يذكر لأن اتفاقهم لم يدم طويلاً، ولأن ابن حوشب وأنصاره كانوا «يحاربون تنفيذاً لمبدئهم

ونصرة لاقامة دولة أهل بيت النبي، وكانت هناك رأس مفكرة تقودهم من نصر إلى نصر» (٧٢)

ثم عاد ابن حوشب إلى اتخاذ زمام المبادرة مرة أخرى، فهاجم من حوله من القبائل والعشائر وقتل رجالهم وأخذ أموالهم واستولى على بلادهم، والتفت بعد ذلك إلى بني شاور فأذعنوا له. وسار إلى شبام وكوكبان فاستولى عليهما وعلى جميع مغرب اليمن. (٧٣) واستحق ابن حوشب بعد هذه الفتوحات الجليلة وإعلاء شأن الحركة الفاطمية في اليمن، وإخضاع الكثير من مناطق تلك البلاد لسلطان الدعوة، ومن ثم لسلطان الامام الاسماعيلي، استحق لقب المنصور باليمن الذي لقبه إياه الامام المستور الحسين بن احمد، (٧٤) وأصبح ذا مكانة عالية عند الامام بحيث كلفه بتدريب الدعاة وإرسالهم إلى المناطق المختلفة. فكان أن أرسل أباعبد الله الشيعي الصنعاني داعياً إلى المغرب (افريقية) سنة ٢٧٨هـ/٨٨٨م بعد وفاة داعية الفاطميين هناك، أبي سفيان، وقد أوصاه قبيل سفره قائلاً: «إن أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك» (٧٥) وكان ابن حوشب قد أرسل قبل ذلك ابن اخيه، الهيثم، إلى السند للدعوة للامام المستور هناك سنة ٢٧٠هـ/٨٨٠م» (٧٦)

ثم بدأ ابن حوشب باستعمال الطبول والرايات، فكان معه ثلاثون طبلاً «إذا ضربت سمعت إلى المواضع البعيدة من المغرب» (٧٧) وانضوى الناس تحت لوائه ودخل كثير من بني يعفر وملوك حمير في الدعوة طائعين او كارهين، وقويت في أرض اليمن دعوته وعلت كلمته (٧٨). وحققته الحركة الفاطمية في هذه المرحلة نجاحاً مطلقاً. وكان ابن حوشب يذكر الناس، في الوقت نفسه، بأن انتصاراته وفتوحاته لم تتم إلا لكونه داعية المهدي، وفي ذلك يقول: «والله ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا بكثرة رجالي، وإنما أنا داعي المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم» (٧٩).

كما نسب القاضي النعمان إلى ابن حوشب فتح صنعاء والاستيلاء عليها فقال: «وملك صنعاء وأخرج بني يعفر منها، وفرق الدعاة في نواحي اليمن وإلى سائر البلدان: إلى اليمامة والبحرين والسند والهند وناحية مصر والمغرب» (٨٠).

بعد ذلك لانجد في المراجع من أخبار ابن حوشب شيئاً آخر نضيفه سوى قصة خلافه مع مساعده ابن الفضل على ما سنرى في الفصل التالي. فالحمادي اليماني يقول: «ثم أن المنصور أقام في مسور إلى أن جرى بينه وبين علي بن الفضل الجدني اختلاف وعاربة... وكان موت المنصور... سنة اثنتين وثلاثمائة وولي الأمر من بعده عبد الله بن عباس الشاوري» (٨١). غير أن مما لاشك فيه هو أن ابن حوشب تابع إشرافه وتنظيمه لأمر الدعوة في اليمن خلال هذه الفترة التي امتدت حتى أوائل القرن الرابع الهجري، حيث كان على اتصال دائم مع الإمام الاسماعيلي في سلمية ثم في المغرب، يتلقى منه التوجيهات والإرشادات. وكان ابن الفضل يستشيرهُ أيضاً ويظهر له الطاعة، وربما كان ذلك مداهنة منه ورياء لأخفاء ما أضمره في صدره من سوء لابن حوشب وللحركة الفاطمية عموماً.

٢- نشاط ابن الفضل الحربي:

أما فيما يتعلق بنشاط علي بن الفضل في هذا الدور، فقد ذكرنا أنه استقرّ في سرو يافع، واستمال الناس إلى جانبه بفضل ما أظهره من تقوى وورع وتدين شديد، فأخذ عليهم العهود، وأنهبهم أطراف بلاد ابن أبي العلاء، سلطان الحج وأبين «بحجة أن في ذلك جهاد لأهل المعاصي.. ووجد اتباعه في هذا العمل فرصة لجميع الثروة فاندفعوا في صفوفه لتحقيق أغراضه» (٨٢) ثم أنه استغلّ خلافاً بين ابن أبي العلاء وواليه على أبين، جهر بن إبراهيم المناخي، فاتفق مع جعفر على محاربة ابن أبي العلاء على أن يقتسما ما يكسبانه من البلاد والأموال مناصفة بينهما، وقد أظهر ابن الفضل براعة عسكرية فائقة في هذه الحرب التي انتهت بفوزه على ابن أبي العلاء، والتي كان من نتيجتها أن شاع ذكره، وعظم شأنه، وانضمت قبائل مذحج وزيد بأسرها إليه (٨٣). واستغلّ ابن الفضل انتصاره أحسن استغلال، فقد أورد إقناع الناس بأنه لا يسعى إلى المال والجاه،

وإنما قصده خير الإسلام وصلاح المسلمين وأنصاف المظلومين ونشر العدل. وكان له ذلك عندما بعث إليه جعفر المناخي يسأله ان يعطيه حصته من الغنائم وفقاً للاتفاق القائم بينهما. وقد أورد الحمادي اليماني الحادثة فقال:

فجمع القرمطي [ويعني ابن الفضل الذي ينسب إلى القرامطة] القبائل والعساكر ولقي السفير في أعظم زي من العدة والعدد، فلما عرفه السفير بما جاء به جمع العساكر وقال: إن جعفرأ أرسل إلي لما بيني وبينه من العهد بقسمة ماغنمت، وقد أحضرتكم شهوداً على تسليمه إليه لأني لا رغبة لي في المال، إنما قمت لنصرة الاسلام فشكروه إليه على ذلك. ثم أحضر المال فقسمه شطرين وسلم إلى السفير وقال: انصرف إلى صاحبك ليلتك وقل له يستعد للحربي، وكتب معه كتاباً إليه يذكر فيه أنه بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين وأخذ أموال الناس، وأنا قمت لأميت المظالم وأرد الحق إلى أهله، فإن أنت اردت تمام ما بيني وبينك، فرد الظلامات إلى أهلها، وأدفع لأهل دلال ما قطعت من أيديهم، وذلك لأن جعفرأ قطع أيدي ثلثمائة رجل من أهل دلال على حجر بالمذيخرة... (٨٤)

ونفذ ابن الفضل تهديده للمناخي في العام التالي، وانتصر عليه بعد حروب مريعة انتهت بقتل جعفر ودخول ابن الفضل المذيخرة، عاصمة المخلاف المنسوب إلى جعفر المناخي. وقد وجدها مكاناً مناسباً لأن تكون دار ملكه، (٨٥) تماماً كما وجد ابن حوشب في مسور مكاناً مناسباً لتصبح دار ملكه بعد عدن لاعة. وقد ذكر ان هذه الحرب قامت في سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م، (٩٦) وقيل ٢٩٢هـ/٩٠٤م (٨٧).

وقويت عزيمته ابن الفضل بهذا الفتح الجليل، فبعث بالعساكر إلى المناطق المجاورة، فاحتلت مخلاف جعفر، والجند بأكملها، ودخلت جيوشه منكث وذمار من بلاد يحصب فخريتها، ودانت لسلطته المنطقة بأسرها (٨٨).

وبإحضار المذيخرة وقتل واليها المناخي، وإحضار معظم المناطق اليمنية الجنوبية والجنوبية الغربية والوسطى، تطلع ابن الفضل إلى الاستيلاء على صنعاء، أكبر وأهم مدن اليمن ومقل آل يعفر، أعداء الدعوة. وقد وجد ابن الفضل في نفسه وفي جيشه القدرة والقوة التي تمكنه من تحقيق هذا الهدف. فأسرع بتنظيم جيشه وأعداده،

وسلك طريق اليمن الأعلى، واستولى في طريقه على حصن هران التابع لليافعي صاحب ذمار، وانضم إليه الوالي ومعظم السكان، ودخلوا في مذهبه (٨٩). ثم وصل ذمار فوجد أن صاحبها هجرها وسار إلى صنعاء، فلحقه ابن الفضل بجيش يقدر بأربعين ألفاً، ولما وصل مشارف صنعاء كان صاحبها أسعد بن أبي يعفر بانتظاره. غير أن مقاومة ابن أبي يعفر لم تنفع فانهزم أمام جيش ابن الفضل الذي دخل صنعاء ليلاً بمعاملة ملهب الشهابي. واستباح ابن الفضل المدينة، وخرج أميرها منهزماً إلى شبام، ولكن رجال ابن حوشب تصدوا له، فارتد إلى بلاد الدعام ومعه أهله وأثقاله، وذلك أواخر سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م. (٩٠) وبفتح صنعاء أصبح موقف ابن الفضل قوياً جداً، ولم يبق له سوى فتح زيد ليقتضي على أعداء الحركة الفاطمية هناك، وليكمل إخضاع اليمن لهذه الحركة. وفي هذه السنة، ٢٩٣هـ/٩٠٥م، ورد كتاب من صنعاء إلى بغداد حول انتشار الحركة الفاطمية في اليمن، وعلم خلفاء بني العباس بما يجري في تلك الأنحاء، وبأن صاحب الدعوة تغلب على سائر مدن اليمن. (٩١) وهي أول إشارة يوردها الطبري بخصوص الحركة الفاطمية في اليمن. وقبل خروج ابن الفضل من صنعاء لاستكمال فتوحاته، التقى صاحبه، ابن حوشب، في عاصمة الديار اليمنية وقد جاء لتنهشته بما أحرزه من فتوحات وانتصارات ومكاسب عظيمة لحركة الفاطميين في اليمن.

وأورد الشرفي تفاصيل هذا اللقاء فقال:

ولما علم منصور بن حسن بدخول علي بن الفضل صنعاء تجهز للمسير إليه، فوصل إليه وأقاماً أياماً وابن الفضل يعظم منصوراً ويجلّه ويقول: إنما أنا سيف من سيوفك. وكان منصور بن حسن يهاب علي بن الفضل ويخافه، ثم عزم علي بن الفضل على نزول تهامة فنهاه منصور بن حسن وقال له: الصواب أن تقف بصنعاء وأنا بشبام سنة حتى نصلح جميع ما استفتحناه، فلم يسعه... (٩٢)

وربما أصاب ابن الفضل بعض الغرور بعد استيلائه على صنعاء، فلم يستمع لنصيحة صاحب الدعوة بالترث قليلاً وعدم الخوض في مخاطر جديدة قبل توطيد الأمر لنفسيهما في المناطق التي افتتحها، فجمع جيشه وسار به متجهاً

نحو بلاد تهامة الساحلية. ولكن ما إن وصل بجيشه إلى المعابر الجبلية الضيقة والشديدة الوعورة والتي تصل ما بين صنعاء وتهامة، حتى خرج عليه الناس وحاصروه وجيشه في الشعاب الوعرة، وأصبح في وضع حرج جداً، ولم ينقذه من هذه الضائقة سوى إسراع صاحبه ابن حوشب بجيشه إلى أنقاذه، فعاد هو إلى صنعاء، وابن حوشب إلى شبام. (٩٣) ومع ذلك لم يدخل اليأس إلى قلب ابن الفضل جراء هذه الحادثة، بل صمم على القضاء على آخر معاقل الحكم العباسي في اليمن المتمثل بحكم أمراء بني زياد في زيد، وكان أميرهم في ذلك الوقت أبو الجيش اسحق بن ابراهيم بن محمد الزياتي (٩٤).

سار ابن الفضل أواخر تلك السنة، ٩٣٢هـ/٩٠٥م، باتجاه زيد عبر طريق الكدرا، والتقى الزياتين خارج زيد واستباحها، وقتل رجالها وسبي نساها، وقتل واليها لبني العباس الذي فقدت بغداد بقتله أكبر ممثل لها في اليمن. (٩٥) وتمت بذلك سيطرة الحركة الفاطمية المطلقة على اليمن باستثناء منطقة صغيرة في الشمال حيث يقيم الامام الهادي الزيدي واتباعه. وتحقق حلم الامام الحسين بن احمد بإقامة دولة اسماعيلية تقيم الدعوة له ولولده المهدي في فترة قصيرة من الزمن. وأصبحت هذه الدولة محط أنظار اهل الدعوة والدعاة لأنهم اعتقدوا أنها المكان الذي سيظهر فيه الامام المهدي. وكاد الأمر ان يتم على هذا النحو لولا حدوث ما لم يكن في الحسبان، ونعني بذلك انقلاب ابن الفضل على الدعوة وخروجه من مذاهب الاسلام، ومحاربه لابن حوشب، فهدم خلال سنوات قليلة ما بناه خلال ربع قرن من الزمان، فكان السبب المباشر الذي قضى على الحركة الفاطمية الأولى في اليمن.

هوائى الفصل الثالث

(١) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٣٨؛ ادريس، عيون الاخبار، ج ٤، ص ٦٣٠
وقال الجندي ينقل قول الامام لابن حوشب: يا أبا القاسم ان الدين والكمية
يمانية، والركن وكل امر يكون مبتدؤه من قبل اليمن فهو ثابت لثبوت
نجمه. السلوك، ص ١٤٠؛ الحمادي، كشف اسرار الباطنية، ص ٢٢

(٢) نشوان الحميري، الخور العين، ص ١٩٨

(٣) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٣٨؛ ادريس، عيون الاخبار، ج ٤، ص ٦٣٠ -
٦٣١،

(٤) المصدران السابقان، ص ٣٨ - ٣٩؛ ج ٤، ص ٦٣١

(٥) ابن خلدون، العبر، ج ٣، قسم ٣، ص ٧٦٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٨،
ص ٣٠؛ عمارة اليمن، تاريخ اليمن، ص ٥

(٦) الحمادي، كشف، ص ٢١؛ وأنظر الجندي، السلوك، ص ١٣٩؛ وجيشان
قرية من مريس قرب قطيفة شمالي لحج وغربي بلاد يافع. معجم الأماكن
الملحق بكتاب ابن سمره، طبقات فقهاء اليمن، ص ٣١١؛ الهمداني، صفة،
ص ١٠٢

(٧) العبدلي، هدية الزمن، ص ٢٥، وينقل عن مخطوط للديع الزبيدي يسمى
قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون، وانظر: نشوان، الخور العين، ص ١٩٨
العصامي، سمط النجوم؛ ج ٣، ص ٤١٠؛ وخنفر من مخلاف أين وقاعدتها
وتقع قرب عدن. معجم الأماكن في طبقات فقهاء اليمن، ص ٣١٤؛ ياقوت،
معجم، ج ٢، ص ٣٩٤؛ الخزرجي، العسجد في زكار، اخبار القرامطة
ص ٤١٨

(٨) الهمداني، الصليحيون، ص ٣٠؛ غالب، أعلام، ص ٣٨٦

(٩) ابن خلدون، العبر، ج٣، قسم٣، ص٧٦٠، وج١٤، قسم١، ص٦٥، المقرئ،
الخطوط، ج٢، ص ١٦٠،

(١٠) تنظر مثلاً: النعمان، افتتاح الدعوة، ص٣٩؛ ادریس، عیون الاخبار ج٤، ص٦٣١؛ الحمادي، كشف، ص٢١؛ الجندي، السلوك، ص١٣٩؛ الشرفی، اللآلی، ج٢، ورقة ٨٤؛ یحیی، غایة الامانی، قسم١، ص١٩١؛ ابن المؤید، أنباء الزمن، ص ٣٨، الخزرجي في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤١٨ وما بعدها؛

Daftary, The Ismailis, P.118

(١١) النعمان، افتتاح الدعوة، ص٣٩ - ٤٠؛ ونقلها ادریس، عیون الاخبار ج٤، ص ٦٣١ - ٦٣٣،

(١٢) الحمادي، كشف، ٢١ - ٢٢،

(١٣) الجندي، السلوك، ص ١٣٩ - ١٤٠؛ الخزرجي في زكار، أخبار القرامطة،
الفصل السادس.

(١٤) الخزرجي، المسجد، في زكار، أخبار القرامطة، الفصل السادس، ومحمد الحبيب هو الامام الذي التقى ابن حوشب وابن الفضل وأرسلهما إلى اليمن للدعوة له ولولده المهدي، وقد رأينا ان اسمه الحقيقي هو الحسن بن أحمد.

(١٥) ابن خلدون، العبر، ج٤، قسم١، ص٦٥؛ وأخذ حسن ابراهيم حسن بهذا الرأي في تاريخ الاسلام، ج٣، ص٣٣٢؛ وعبيد الله المهدي، ص٧٢،

(١٦) یحیی، غایة الامانی، قسم١، ص١٩١؛ ابن المؤید، أنباء الزمن، ص٣٨؛ وکلاهما ينقل عن صاحب بهجة الزمن؛ الواسعي، تاريخ اليمن، ص٢٢؛ العبدلي، هدية الزمن، ص٥٢؛ وينقل عن الديبع الزبيدي في قرة العيون الشرقي، للآلي؛ ج٢، ورقة ٨٤؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة ص ٤١٣ ٤٣١؛ ومن غير هؤلاء:

العصامي، سمط النجوم، ج٣، ص٤١٠؛ والذي يرى ابتداء أمر الدعوة على يد ابن الفضل سنة ٥٢٩٠هـ، بينما يذهب عبد العزيز الدوري إلى القول أن ابتداء

الدعوة كان في ٥٢٦٦هـ، البصر العباسي المتأخر، ص ١٦٣ وقال العرشي بأنها كانت في ٥٢٧٧هـ، بلوغ المرام، ص ٢٢.

(١٧) الدواداري، الدرة المضبية، ص ٦٣.

(١٨) النعمان، افتتاح الدعوة، إدريس، عيون الاخبار، ج ٤، ص ٦٣٢.

(١٩) أورد الحمادي هذه الرواية بهذا الترتيب ولكنه جعل الامام، ويسميه ميموناً، الشخص الذي استمال ابن الفضل بمعاونة ولده غبيد، وأضاف بأن الامام قال لابن الفضل بعد أخذ العهد عليه: الحمد لله الذي رزقني رجلاً نحريراً مثلك استعين به على أمري وأكشف له مكنون سري، ثم كشف له أمر مذهبه. كشف، ص ٢٢؛ ونقلها الجندي، السلوك، ص ١٣٩،

(٢٠) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٣٨.

(١٢) تامر، تاريخ الاسماعيلية، ج ١، ص ٢٧٢.

(٢٢) الحمادي، كشف، ص ٢٢.

(٢٣) المصدر ذاته، ص ٢٣.

(٢٤) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٤١، إدريس، عيون الاخبار، ج ٤، ص ٦٣٣.

(٢٥) المصدران السابقان.

(٢٦) المصدران السابقان.

(٢٧) الجندي، السلوك، ص ١٤٠.

(٢٨) النعمان، افتتاح الدعوة، ٤٢؛ إدريس، عيون الاخبار، ج ٤، ص ٦٣٥؛

وذكر الجندي أن الامام أوصى ابن الفضل بقوله: الله الله أوصيك بصاحبك

خيبراً وقره وأعرف حقه ولا تخرج عن امره فإنه أعرف منك ومني فإن

عصيته لم ترشد. السلوك، ص ١٤١؛ وانظر غالب، أعلام، ص ٢٣٤؛ الخزرجي،

في أخبار القرامطة، ص ٤١٥.

(٢٩) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٤١ - ٤٢، ويذكر افتتاحية الكتاب وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم، من أب المسلمين وأمير المؤمنين ووارث الوارثين وسماء
الطارقين وشمس الناظرين وقمر المستضيئين وقبلة المصلين وأمان الخائفين
وقاتل أبلis اللعين، وركن الاسلام وعلم الاعلام وقلم الأقلام ويوم الأيام
ونور التمام، رسالة عبد مسكين يعمل في البحر منذ سنين، لعل سفينه تنجو
من الفرق فينجو من ينجو فيها من العطب.

وذكر الحمداني قول الامام لابن حوشب: اجمع المال والرجال، والزم الصوم
والصلاة والتقشف، واعمل بالظاهر ولا تظهر الباطن، وقل لكل شيء باطن
وان ورد عليك مالا تعلمه فقل لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره.

الصليحيون، ص ٣١؛ وانظر تامر، القرامطة، ص ١٤٢، وتاريخ الاسماعيلية، ج ١،
ص ٢٧٢ - ٢٧٣، غالب، اعلام، ص ٢٣٤،

(٣٠) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٤٢، وأورد الحمادي ذلك بشيء من التصرف
مضيفاً شطراً آخر هو: تدرك ما أملت من أمر. كشف، ص ٢٣، (٣١)
المصدران السابقان، ص ٤٢ - ٤٣، ٢٣، وذكرنا أن سبب اعتزال الحواري
للحكم هو أنه ذكر له ان داعية المهدي سيظهر في هذه السنة وسيغلبه
ويخلعه عن ملكه؛ وانظر المقرئزي، اتعاض الحنفاء، ص ٦٨،

(٣٢) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٤٤؛ المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ١٦٠،
اتعاض، ص ٦٨، وذهب آخرون إلى أن دخولهما اليمن كان سنة ٢٩٠ هـ او
٢٩١ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٣ م، ومن هؤلاء يحيى، غاية الاماني، ج ١، ص ١٩١؛
العصامي، سمط النجوم، ج ٣، ص ٤١٠؛ العبدلي، هدية الزمن، ص ٥٣،

(٣٣) غلافقة بلدة على ساحل البحر الأحمر وكانت بندراً لمدينة زبيد. انظر
الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٥٢،

(٣٤) عدن لاعة: قرية بقرب صنعاء، الهمداني، صفة، ص ٦٩،

(٣٥) الجند: بلدة مشهورة تقع إلى الجنوب الغربي من صنعاء وهي من أرض السكاسك، وكانت مركز عمل تهامة اليمانية، الهمداني، صفة، ص ٥٤.

(٣٦) يذكر الجندي أن ابن حوشب أخبر بموضع عدن لاعة وقيل له أنها بجهة حجة، والتقى بعض أهلها التجار في عدن أين السلوك، ص ١٤١.

(٣٧) عدن أين: مدينة على الساحل الجنوبي لليمن؛ وهي ميناء هام للتجارة على المحيط الهندي، الهمداني، صفة، ص ٥٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٩.

(٣٨) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٣٠؛ وذكر ادريس حول ذلك:

بينما كان ابن حوشب يسير في مخلاف بني طريف من ناحية صعدة، انقطعت نعله في منطقة تدعى رأس نفيل عجيب فمال إلى صخرة وجلس عليها ليصلح نعله، فأقبل إليه شيخ فقال: ممن الشيخ؟ فقال: رجل غريب. فقال له: أعينك علم من المهدي؟ فقال له المنصور: ومن المهدي أيها الشيخ؟ فقال الشيخ: إنه مأثور عندنا أن داعي المهدي تنقطع نعله فيقف على هذه الصخرة ليصلحها، فقال له المنصور: كلام الناس كثير.

قال: ولم أجد فيه انتباهاً. وسار المنصور حتى دخل صنعاء.

عيون الاخبار (تح. غالب)، ج ٥، ص ٣٢ - ٣٣.

(٣٩) النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٤٥؛ وأورد الحمادي هذا الخبر ولكنه لم يُشر إلى خبر ابن خليع مع ابن أبي يعفر. كشف، ص ٢٥.

(٤٠) جيشان: من مدن اليمن، وتقع شمال الحج وغرب بلاد يافع، الهمداني، صفة، ص ١٠٢.

(٤١) قال عنها الحمادي ناحية باليمن أرضها جبلية. كشف، ص ٢٨.

(٤٢) المصدر ذاته، ص ٢٨.

(٤٣) أنظر أعلاه حاشية رقم (٢٩).

(٤٤) حسين، طائفة الاسماعيلية، ص، ١٣١

(٤٥) الشهرستاني، الملل والنحل، ج، ٢، ص، ٢٨

(٤٦) حسين، طائفة الاسماعيلية، ص، ١٣٣

(٤٧) الحمادي، كشف، ص ١١ - ١٥

(٤٨) ربما كان التأليف والكتابة أسلوباً آخر من الأساليب التي أتبعها ابن حوشب في سبيل نشر دعوته، والتبشير بقرب ظهور المهدي من آل رسول الله. وهذا الافتراض مبني على وجود فصل من كتاب الرشد والهدية المنسوب إلى ابن حوشب. وحتى إذا صح هذا الافتراض فإننا لانستطيع تحديد الفترة أو الدور الذي تم فيه تأليف هذا الكتاب وإن كان مضمونه يشير إلى أنه لا يمكن أن يكون قد كتب بعد ظهور محمد المهدي في المغرب سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م، كما أن نسبة الكتاب إلى ابن حوشب غير مؤكدة تماماً، وقد نشر محمد كامل حسين النص العربي لهذا الفصل في: Collectanea, 1948, Vol. 1, PP. 189 - 213

ونشره ايفانوف بعد ترجمته إلى الانكليزية في كتابه. Studies in Early

Persian Ismailism ,PP. 32 - 59

(٤٩) يحيى، غية الاماني، قسم، ١، ص ١٩٢؛ ابن المؤيد، أبناء الزمن، ص ٣٩،

(٥٠) الحمادي كشف، ص، ٢٥، الجندي، السلوك، ص، ١٤

(٥١) ابن خلدون، العبر/ ج، ٣، ق، ٣، ص ٧٦٠؛ المقرئ، اتعاط، ص ٦٨، ويقول: دعو للرضي من آل محمد. أما نشوان الحميدي فيقول أن ابن حوشب شهر السيف بعد وصوله إلى عدن لاعة، الحور العين، ص ١٩٨، ونقل الشرفي ذلك عنه في الآلي، ج، ٢، ورقة، ٧٤

(٥٢) الحمادي، كشف، ص، ٢٥

(٥٣) الجندي، السلوك، ص ١٤١

(٥٤) الحمادي، كشف، ص ٢٥؛ وذكر الجندي أن حصن عبر محرم كان يقوم يعرفون بيني الفدعا، السلوك، ص ١٤٢، ونقل الهمداني عن عيون الاخبار أن ابن حوشب استعان بألف دينار، أعانه بها خمسة من أصحابه، في بناء الحصن، وأنه سكنه مع خمسين رجلاً من وجوه أهل دعوته. الصليحيون، ص ٣٣،

Daftary, The Ismailis, P.118 (٥٥)

(٥٦) الهمداني، الصليحيون، ص ٢٤،

(٥٧) الحمادي، كشف، ص ٢٦،

(٥٨) المصدر ذاته، ص ٢٦؛ وذكر محمود أن استيلاء بن حوشب على الحصن قد تم بالاتفاق مع بني العرجي وأنه لم يحارب أحداً، لأن ذلك لا يتفق مع سياسة عدم التعدي على حقوق الغير التي كا يتبعها في الدور السلمي، تاريخ اليمن، ص ١٥٣،

Daftary, The Ismailis, P118 (٥٩)

(٦٠) ذكر بن المؤيد ان ابن الفضل نزل سروافع لأنه وجد أهلها جهال رعا لا يعرفون الحقائق بل يتبعون كل ناعق.. أنباء الزمن، ص ٤٠، وانظر: يحيى، غاية الاماني، ق، ١، ص ١٩٢؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤١٩،

(٦١) الشرفي، اللآلي، ج، ٢، ورقة ٨٥؛ الخزرجي، في زكار أخبار، ص ٤١٩،

(٦٢) الحمادي، كشف، ص ٢٨؛ أنظر أيضاً: الجندي، السلوك، ص ١٤٣؛ الشرفي، اللآلي، ج، ٢، ولاقه ٨٥؛ يحيى، غاية الاماني، ق، ١، ص ١٩٢؛ ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص ٤٠؛ العرشي، بلوغ المرام، ص ٢٢؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤١٩؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٤٠٤؛ الهمداني، الصليحيون، ص ٣٣،

- (٦٣) الجندي، السلوك، ص١٤٣؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص٤١٩.
- (٦٤) الحمادي، كشف، ص٢٨؛ وأنظر العبدلي، هدية الزمن، ص٥٣؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤١٩.
- (٦٥) من هؤلاء: يحيى، غاية الأمانى، ق، ١، ص ١٩١؛ ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص٢٩؛ ابن سمر، طبقات، ص٧٥؛ الواسعي، تاريخ اليمن، ص ٢٢؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٠.
- (٦٦) النعمان، افتتاح الدعوة، ص٤٤؛ المقرئ، الخطط، ج٢، ص١٦٠؛ اتعاظ ص٦٨.
- (٦٧) النعمان، افتتاح، ص٤٤.
- (٦٨) المصدر ذاته، ص ٤٦.
- (٦٩) المصدر ذاته، وذكر الحمادي والجندي أن إرسال الهدايا إلى الامام والد المهدي كان في سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م، كشف، ص٢٨؛ لسلوك، ص ١٤٢؛ بينما يوافق الشرفي النعمان بأن ذلك تم سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م، وينقل ذلك عن الخزرجي، للآلي، ج٢، ورقة ٨٥؛ سرور النفوذ الفاطمي، ص٦٠.
- (٧٠) الحمادي، كشف، ص٢٦؛ وأنظر الشرفي، للآلي، ج٢، ورقة ٨٥؛ الهمداني، الصليحيون، ص٣٤؛ محمود، تاريخ اليمن، ص١٣٧.
- (٧١) المصدر ذاته، ص٢٦؛ وذكر أن ابن حوشب بني قصرأ سماه دار التحيّة فعند ذلك أحل ماحرم الله... كشف، ص٢٧؛ انظر أيضاً الشرفي، للآلي، ج٢، ورقة ٨٥؛ تامر، القرامطة، ص ١٤٣؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٤٠٤.
- (٧٢) الهمداني، الصليحيون، ص٣٤ - ٣٥؛ محمود، تاريخ اليمن، ص١٣٧؛ تامر، القرامطة، ص١٤٣.

(٧٣) بن المؤيد، بناء الزمن، ص ٣٩؛ يحيى، غاية الأمان، ق ١ ص ١٩٢؛ الحمادي، كشف، ص ٧٢؛ الحمداني، الصليحيون، ص ٣٥،
(٧٤) غالب، أعلام، ص ٢٣٨؛ ونظر، النعمان، افتتاح، ص ٣٢؛ الحمداني، الصليحيون، ص ٣٥؛ حسن، الدولة الفاطمية، ص ٤٠٤؛ وقال هو منصور اليمن.

(٧٥) يقول حسن ابراهيم حسن أن ابن حوشب أصبح ذا مكانة عالية لدى الامام بحيث كلفه بتدريب الداعي ابو عبد الله الشيعي الصنعائي قبل إرسال الأخير إلى المغرب سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م؛ إذ لما اتصل بابن حوشب نبأ موت ابي سفيان داعي الاسماعيلية في بلاد المغرب عهد إلى أبي عبد الله الشيعي القيام بالدعوة إلى هذا المذهب، وقال له: أن أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة مهيأة لك. الدولة الفاطمية، ص ٤٧؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص ٦٠.

(٧٦) Daftary, The Ismailis, P01180

- (٧٧) الحمادي، كشف، ص ٢٦؛ الجندي، السلوك، ص ١٤٢
(٧٨) تامر، القرامطة، ص ١٤٣
(٧٩) الحمادي، كشف، ص ٢٦
(٨٠) النعمان، افتتاح، ص ٤٧؛ ونظر، المقرئ، اتعاظ، ص ٦٨؛ ابن خلدون، العبر، ج ٤، ق ١، ص ٦٢
(٨١) الحمادي، كشف، ص ٢٨
(٨٢) تامر، القرامطة، ص ١٤٣؛ انظر أيضاً الحمادي، كشف، ص ٢٨؛ الخزرجي، في زكار، أخبار، ص ٤٢٩؛ الحمداني، الصليحيون، ص ٣٥؛ محمود، تاريخ اليمن، ص ٣٦؛ تامر، القرامطة، ص ١٤٣؛ محمود، تاريخ اليمن، ص ١٣٩

- (٨٤) الحمادي، كشف، ص ٢٩؛ وانظر ابن المؤيد، أبناء الزمن، ص ٤٠ - ٤١، يحيى، غاية الاماني، ق، ١، ص ١٩٣؛ الخزرجي، في زكار، أخبار، ص (٤٢٠)؛ العرشي، بلوغ المرام، ص ٢٢؛ العبدلي، هدية الزمن، ص ٣٥؛ الهمداني، الصليحيون، ص ٣٦؛ محمود، تاريخ اليمن، ص ١٣٩.
- (٨٥) الحمادي، كشف، ص ٢٩ - ٣٠؛ الجندي، السلوك، ص ١٤٣؛ ابن المؤيد، أبناء الزمن، ص ٤٣؛ ابن سمرة، طبقات، ص ٧٦.
- (٨٦) وقال بذلك كل من: الهمداني، الصليحيون، ص ٣٦؛ محمود، تاريخ اليمن، ص ١٣٩؛ تامر، القرامطة، ص ١٤٣.
- (٨٧) ومن القائلين بذلك: ابن المؤيد، أبناء الزمن، ص ٤٣؛ يحيى، غاية الاماني، ق، ١، ص ١٩٥؛ الشرفي، اللآلي، ج، ٢، ورقة ٨٦؛ وأغرب عمارة اليمن فقال ان استيلاء علي بن الفضل على المذيخرة كان في سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م وهذا مخالف للواقع لأن بن الفضل توفي سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م. والمرجح أنه استولى عليها سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م. لأنه هاجم صنعاء في السنة التالية لاحتلاله للمذيخرة.
- (٨٨) الشرفي، اللآلي، ج، ٢، ورقة ٨٦.
- (٨٩) الجندي، السلوك، ص ١٤٤؛ الحمادي، كشف، ص ٣٢؛ الخزرجي، في زكار، أخبار، ص ٤٢١.
- (٩٠) ابن المؤيد، أبناء الزمن، ص ٤٤؛ يحيى، غاية الاماني، ق، ١، ص ١٩٦؛ ويذكر الجندي أن دخول ابن الفضل لصنعاء كان سنة ٢٩٩هـ / ٩١١م، السلوك، ص ١٤٤، والحقيقة أن ابن الفضل دخل صنعاء مرتين، كما سنرى، الأولى كانت سنة ٢٩٣هـ / ٩٠٥م، ولكنه لم يسيطر عليها بشكل فعلي إلا عندما دخلها للمرة الثانية ٢٩٩هـ / ٩١١م.
- (٩١) الطبري، تريخ الامم، ج، ١١، ص ٣٩٤.
- (٩٢) الشرفي، اللآلي، ج، ٢، ورقة ٨٦؛ وانظر أيضاً الحمادي، كشف، ص ٣٢؛ يحيى، غاية الاماني، ق، ١، ص ١٩٧ - ١٩٨.

- (٩٣) الشرفي الآلي، ج، ٢، ورقة ٨٦؛ يحيى، غاية الاماني، ق، ١، ص، ١٩٧
- (٩٤) المصدران السابقان، أنظر أيضاً: الجندي، السلوك، وذكر الحمادي ان صاحب زبيد هو لمظفر بن حاج، كشف، ص ٣٢؛ وكذلك الهمداني، الصليحيون، ص ٣٧؛ وأورد الطبري أن الخليفة العباسي عقد لمظفر حاج على اليمن في ٣ شوال من سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م، وان الأخير بقي في اليمن حتى وفاته، تاريخ الأمم، ج ٢١١، ص ٣٩٨
- (٩٥) الهمداني، الصليحيون، ص ٣٧؛ انظر أيضاً: الجندي، السلوك؛ ص ١٤٥؛ الحمادي، كشف، ص ٣٢؛ يحيى، غاية الاماني، ق، ١، ص ١٩٨؛ ويقول هؤلاء أن ابن الفضل سبي أربعة آلاف عذراء أمر جنوده بذبحهن أثناء عودتهم إلى صنعاء قادمين من زبيد، لئلا يفتتن الجنود بهن، فيشغلونهم عن الجهاد.

الفصل الرابع

ثورة ابن الفضل على ابن حوشب ونهاية الحركة الفاطمية الأولى في اليمن

١. داووق الثورة:

لاحظنا خلال دراستنا لانتشار الحركة الفاطمية في اليمن أنه كان هناك اتفاق كامل بين ابن حوشب، زعيم الحركة، ومساعدته ابن الفضل؛ وأن الثاني أظهر كل احترام وتقدير لرئيس الدعوة خلال الدور السلمي والقسم الأول من الدور الحربي. وكان من نتيجة هذا التعاون والاتفاق أن خضع معظم اليمن لنفوذ الاسماعيلية بعد تحطيم سلطة الامراء المحليين المعادين للدعوة، وأصبح هذا القطر مؤهلاً لأن يكون مكان ظهور الامام المهدي الذي كان يقيم مستتراً في سلمية حتى اوائل التسعينات من القرن الثالث الهجري. كما خدمت اليمن كقاعدة هامة لنشر الدعوة الاسماعيلية إلى مناطق مجاورة كاليمامة، وأخرى بعيدة أيضاً كالسند. (١)

وكان ابن حوشب، خلال ذلك، يهاب ابن الفضل ويخافه على نفسه لما أظهره من شجاعة وشهامة وإقدام في سبيل نشر الدعوة وقهر أعدائها ورفع لوائها. وعندما احتل ابن الفضل صنعاء، سرّ ابن حوشب بهذا الفتح وسار إليه حتى لاقاه في صنعاء «واجتمعوا وفرح كل منهما لصاحبه» (٢) وحافظ ابن الفضل على هذه العلاقات الطيبة مع ابن حوشب طوال ما يقرب العشرين عاماً أو أكثر. ولكنه ما إن شعر بازدياد قوته ونفوذه بعد استيلائه على مدينتي المذيخرة وصنعاء، ٢٩٣هـ/٩٠٥م، (٣) وسيطرته على معظم أرجاء اليمن الغربي، حتى قام، وهو اليمني القحطاني الطموح، باظهار ما أضمره، وإعلان ما أخفاه في صدره من رغبة في التفرد بحكم اليمن والاستقلال عن كل تبعية داخلية (لابن حوشب) أو خارجية (للامام المهدي)، ولو أنه كان قد بايع للامام المستور الحسين بن أحمد ولولده المهدي من بعده، وحقق ما وصل إليه بفضل قيامه بالأمر باسمه. وقد ألصق به المؤرخون تهمة الزندقة والخروج على مذاهب الاسلام وإباحة المحرمات، وادعاء النبوة، وهي التهم التي اعتاد المؤرخون نسبتها إلى كل مخالف وخارج على النظام، وقد وردت هذه التهم في أبيات شعرية منسوبة إلى أحد شعراء ابن الفضل والتي قالها بعد احتلاله للمذيخرة ٢٩٢هـ/٩٠٤م، ومطلعها:

خذي الدف يا هذه والعبي	وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة	وهدي شرائع هذا النبي (٤)

وسنعمد الآن إلى استعراض الروايات الفاطمية وغير الفاطمية التي وردت في المصادر الأولية، وكذلك آراء المؤرخين المحدثين، من أجل تحديد الاسباب والدوافع التي كانت وراء انقلاب ابن الفضل على الحركة الفاطمية في اليمن، وخروجه على ابن حوشب ودعوته الاسماعيلية.

من الملاحظ أن الروايات الاسماعيلية ترى أن ثورة ابن الفضل على الدعوة قد حدثت بعد أن بدأ الامام المهدي، آخر أئمة دور الستر وأول أئمة دور الظهور والذي تولى مقاليد الامامة سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م، رحلته المشهودة من

سلمية في الشام إلى المغرب (افريقية) عبر فلسطين ومصر (٥). وتعتمد هذه الروايات إلى الربط بين هذه الثورة وبين حادثة هرب الداعي فيروز (٦)، أحد كبار دعاة المهدي ومرافقه في رحلته، إلى اليمن عندما علم، وهو في مصر، أن الامام محمد المهدي ينوي التوجه إلى المغرب وليس إلى اليمن كما كان شائعاً في بداية الرحلة. فالقاضي النعمان يذكر أنه لما فشا خبر المهدي بسلمية قرر الرحيل، وسار مع ولده القائم حتى انتهى إلى مصر وأمل أن يقصد اليمن، وكان قد تقدم بعض دعائه فقصده اليمن قبله وفسد أمره وأتى إلى أبي القاسم صاحب دعوة اليمن فأراد أن يستزله فوجده ثابتاً على أمره فاتصرف عنه إلى علي بن الفضل صاحبده وكان في ناحية من اليمن - فاستماله وأفسده. (٧)

وجاء في سيرة الحاجب جعفر أن أصحاب المهدي، ومنهم الداعي فيروز، كانوا لا يشكون في أن المهدي قد أزمع على الرحيل إلى اليمن عندما فشا خبره في سلمية، وكانوا على هذا الاعتقاد حتى صاروا إلى مصر. وهناك أظهر لهم الامام المهدي أنه ينوي السير إلى المغرب، وعند ذلك تغيرت نية الداعي فيروز وخالف الامام وسار إلى اليمن ونزل على ابن حوشب ولم يخبره بحقيقة أمر مجيئه. ولما بعث الامام المهدي بكتاب إلى ابن حوشب يخبره فيه بأمر الداعي، قام هذا الداعي بالفرار إلى ابن الفضل حيث تمكن من استمالته وافساده. غير أن ابن حوشب تمكن من القضاء عليهما بعد قتال دام مدة طويلة. (٨)

أن ماورد في رواية الحاجب جعفر يناقض ما أورده القاضي النعمان. فالأخير يرى أن الامام المهدي كان يأمل في الذهاب إلى اليمن، غير أن خروج الداعي فيروز إليها وفساد علي بن الفضل جعله يغير رأيه، ويغير بالتالي وجهة سفره ويحولها من اليمن إلى افريقية. أما الحاجب جعفر فيرى أن الامام المهدي جعل أصحابه يتوهمون أنه متوجه إلى اليمن حتى صار إلى مصر. ولما أخبرهم هناك بأنه متوجه إلى المغرب تغيرت نية الداعي فيروز عليه، لسبب غير معروف، وخالفه وسار إلى اليمن حيث أفسد ابن الفضل وقتنه. ولكن من المحتمل أن يكون الامام المهدي قد عدل عن التوجه إلى اليمن بعد أن فشا خبر ذهابه إليها (٩)، وأن هرب الداعي فيروز قد تم والامام لا يزال في مصر. وعندما أراد

المهدي الخروج من مصر كان فيروز قد افسد ابن الفضل، فلم يعد له خيار سوى الذهاب إلى المغرب.

ورواية الداعي عماد الدين أدریس لا تختلف عن رواية الحاجب جعفر فهي تؤكد خروج فيروز من مصر إلى اليمن بعد أن

أحزنه مسير الامام إلى المغرب، واستبعد المسافة، فتخلف بمصر، وسار إلى اليمن، وكان الامام المهدي بالله عليه السلام يقول: عجبت لرجلين من شيعتنا أحدهما تغمّه مفارقتنا والآخر تغمّه صحبتنا.

ووصل فيروز إلى داعي اليمن أبي القاسم المنصور قدس الله روحه، فأحسن استقباله وأكرم مثواه لما كان يعرفه من محله عند الأئمة عليهم السلام. ثم أن فيروز أراد أن يضلّه ويغويه، فوجد نيته في ولاء الأئمة عليهم السلام قوية، ونفسه تشعشع أنوارها مضيئة، فلما لم يجد فيه حيلة، توجه إلى علي بن الفضل فوجد فيه مراده، واستفزهما الشيطان وصارا من أهل الضلال والطغيان، وخرجاً عن جملة أهل الايمان فظفر منصور اليمن بفيزوز فقتله، وحارب علي بن الفضل... (١٠)

فالروايات الاسماعيلية اذن ترى في هرب الداعي فيروز من مصر إلى اليمن عاملاً رئيسياً في ثورة ابن الفضل الذي كان لديه الاستعداد النفسي للقيام بمثل هذا الفعل لدى أية بادرة تحريض أو تشجيع، ولكنها لا تشير إلى أية أسباب أخرى كانت وراء هذه الحركة. أما الروايات غير الاسماعيلية، فليس فيها إشارة واضحة إلى سبب معين لثورة ابن الفضل، فقد أورد يحيى ابن الحسين أنه

لما تمكّن ابن فضل من صنعاء لم يحسن فيها صنعا، بل أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشوّه، وارتكب محظورات الشرع، وادعى النبوة، ورقى منبر جامع صنعاء فخطب خطبة منكّرة صرّح فيها بعقيدته الكفرية، وحمد عليها من تابعه من تلك الفرق الغوية. (١١)

وذكر الحمادي أن ذلك كان قبل لقاء ابن الفضل لصاحبه ابن حوشب، وقيل أنه لما التقى به عاتبه ابن حوشب على ما أظهره ودعا إليه، ولكنه نخاعه

وجعل يكبره ويقول له: «إنما أنا سيف من أسيافك والمنصور يهاب ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته وإقدامه» (١٢) من ذلك؛ يبدو أن ابن الفضل لم يخرج على الدعوة الاسماعيلية نهائياً خلال هذه الفترة، أي في سنة ٩٠٦٢٩٤م، بل حافظ على ارتباطه بابن حوشب، وأن الأخير أنقذه من مأزق حرج عندما حوَّصِر في شعاب جبال تهامة أواخر ذلك العام (١٣). واستمر ابن الفضل يخادع ابن حوشب حتى سنة ٩١١/٥٢٩٩م (١٤)، وقيل سنة ٩١٠/٥٢٩٨م (١٥). ففي تلك السنة، وجد ابن الفضل نفسه يسيطر على معظم نواحي اليمن بعد أن استولى على صنعاء وزيد وقتل الأضداد، فقام بتعطيل دعوة ابن حوشب وخلع طاعة المهدي الفاطمي الذي كان يدعو إليه، وكتب إلى ابن حوشب بذلك. (١٦)

وقام الهمداني، وهو من المؤرخين المحدثين، باستعراض الروايات التي مرَّ ذكرها أعلاه، وناقشها ورأى أنه كان عند ابن الفضل نزعة استقلالية عندما نزل الداعي فيروز اليمن، وأن الأخير قوى لديه هذه النزعة، وأفسده وأخرجه من الدعوة (١٧). وكان ابن حوشب على علم أيضاً بهذه النزعة، وحاول أن يطوِّق نفوذ ابن الفضل ويحدِّ منه، وبقي حذراً منه، (١٨) كما كتب إلى المهدي الفاطمي قبل خروجه من سلمية يخبره بانحراف ابن الفضل، فكان ذلك هو السبب الذي دفع الامام المهدي إلى تغيير وجهة رحلته إلى المغرب بدلاً من اليمن (١٩). ورأى الهمداني أيضاً أن المؤرخين بالغوا في نسبة إحلال المحارم وارتكاب الفواحش إلى ابن الفضل دونما الاتيان بأدلة تثبت ذلك وقال:

ولا تتصور أن المجتمع اليمني يقبل رئاسة ابن الفضل لمدة عشرين سنة، بل أكثر؛ لو كان ارتكب في أواخر عهده ما نسب إليه من الفواحش طوال هذه المدة، وقد يجوز أنه بالغ في يمينته، وتطرف في قحطانيته حتى تعدى حدود الاسلام. (٢٠)

وأخذ عارف تامر بما جاء في المصادر الاسماعيلية بخصوص علاقة خروج الداعي فيروز إلى اليمن بانتفاض ابن الفضل، وأكد أنه لما فشل فيروز في اقتناع ابن حوشب بما أراده، (٢١) سار إلى علي بن الفضل فوجد لديه قبولاً. وأضاف بأن ابن حوشب حاول منع ابن الفضل وفيروز من تنفيذ ما أضمره دون

جدوى، واضطر إلى إعلان الحرب عليهما. وذكر سبباً آخر دفع ابن الفضل إلى الثورة على ابن حوشب وإعلان استقلاله، وهو إيثار الامام محمدا المهدي لابن حوشب وتقديمه له على ابن الفضل، وتوجيه الرسائل والأوامر إليه، الأمر الذي لم يرض ابن الفضل عنه، وانفت نفسه منه (٢٢). كما أشار إلى علاقة ابن الفضل بأبي سعيد الجنابي الذي كان يتزعم الحركة القرمطية في البحرين، والذي كان هو الآخر منشقاً على دعوة الامام محمد المهدي، وأنه كان على اتصال به. (٢٣)

وقد أكد كل من الأعظمي (٢٤) وحسن ابراهيم حسن (٢٥) أيضاً وجود علاقة بين هرب الداعي فيروز إلى اليمن وخروج علي بن الفضل على ابن حوشب ودعوته، وأن هذه الثورة حدثت بعد وصول فيروز.

ورأى ف. دفتري أن ابن الفضل بدأ يظهر علامات عدم الولاء للمهدي ابتداءً من عام ٩٠٢/٥٢٩١م. وفي عام ٩١١/٥٢٩٩م أعلن، بعد إعادة استيلائه على صنعاء للمرة الثانية، خلع بيعة المهدي علناً، وألغى الشريعة، وادعى أنه هو نفسه المهدي. وكان للداعي فيروز علاقة مباشرة بهذا الأمر. (٢٦)

في ضوء ماتقدم، يمكننا تقرير بعض الدوافع التي حدت بابن الفضل إلى الخروج على دعوة ابن حوشب وإعلان استقلاله عن الحركة الفاطمية، وأولها يكمن في شخصية ابن الفضل نفسه. فمع أننا لانعرف الكثير عن حياته وأمور دولته، إلا أن الأعمال التي قام بها، والفتوحات التي حققها تدل على أنه كان شخصية بارزة، وقائداً بارعاً، وحاكماً ناجحاً فخوراً بقخطائته، حسب تعبير الحمداني. (٢٧) وهذا ما أكسبه احترام رئيس الدعوة في اليمن الذي كان يهابه ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته وإقدامه، (٢٨) ولم يعزله أو يطرده من الدعوة مع أنه كان يعلم بميوله الاستقلالية عندما اجتمعوا في صنعاء (٢٩). كما أن قوة شخصية ابن الفضل تظهر في أنه كان يؤهم أصحابه إن ابن حوشب من جملة أتباعه وسيف من سيوفه. وكون ابن الفضل صاحب شخصية فذة ويميني فخور بقخطائته، جعله يطمح إلى أن يصبح حاكم دولة مستقلة وليس مجرد حاكم صغير يتلقى الأوامر والتوجيهات من رئيس آخر.

ويتصل بهذا الدافع دافع آخر يتعلق بمركز ابن الفضل في الدعوة الاسماعيلية في اليمن. فالمعروف أن الامام المستور الحسين بن أحمد، والمهدي من بعده، كان قد بعثه مع ابن حوشب وجعله تابعاً للأخير. وكان الامام يتصل بابن حوشب ويخصه بالرسائل والأوامر التي كان يبلغها بدوره إلى ابن الفضل، وهذا ما لم يعد ابن الفضل يقبل به وأنفت نفسه منه بعد أن أصبح سيد قسم كبير من بلاد اليمن.

والدافع الرئيس الثالث نستدل عليه بما أورده المصادر اليمنية غير الاسماعيلية عن احتمال وجود علاقة بين ابن الفضل وأبي سعيد الجنابي، رئيس قرامطة البحرين، الذي كان منشقاً عن دعوة المهدي أيضاً. ففي الكتاب الذي بعث به ابن الفضل إلى ابن حوشب يطلب منه أن يدخل في طاعته، (٣٠) إشارة إلى حركة ابي سعيد الجنابي يظهر منها أنه إن لم يكن على اتصال بالجنابي، فإنه كان على علم بحركة القرامطة في الشام والعراق، ووجد فيها ما يشجعه على القيام بتحقيق آماله وطموحاته في الزعامة والاستقلال. وإغفال المصادر الاسماعيلية لهذه الاشارة لا يقلل من أهميتها في كونها أحد الدوافع الهامة التي أسهمت في خروج ابن الفضل وانقسام الدعوة.

والدافع الأخير الذي نرى أنه أسهم في خروج ابن الفضل كان هرب أحد دعاة الامام محمد المهدي - فيروز - إلى اليمن بقصد إفساد الأمر هناك بعد تصميم المهدي على التوجه إلى المغرب بدلاً من اليمن. ومع أننا لم نستطع تحليل هذا الهرب إلا أنه كان بحذ ذاته سبباً مباشراً لثورة ابن الفضل الذي كان لديه الاستعداد النفسي والعمل للقيام بالثورة وإعلان الاستقلال. فقد وجد الداعي الهارب في ابن الفضل الشخص المناسب لإخراج اليمن عن طاعة المهدي، بعد أن فشل في إقناع ابن حوشب واستمالته. وما أن أسر لابن الفضل بما أراده حتى استجاب له وخلع طاعة المهدي وأعلن الاستقلال. وكان ذلك بدء انقسام الحركة الفاطمية في اليمن ونشوب الصراع بين رفاق الأُمس، وبداية النهاية لهذه الدعوة.

٢ - الصراع بين ابن حوشب وابن الفضل:

نظراً لعدم وجود معلومات كافية في مصادرنا الاسماعيلية حول هذا الجانب من تاريخ الحركة الفاطمية في اليمن، فإننا سنعمد على ما اورده المصادر الأخرى، والتي مال إلى الأخذ بها معظم المؤرخين المحدثين. (٣١) ونقول أنه ربما بدأت ميول ابن الفضل الاستقلالية تظهر حوالي سنة ٩٠٦/٥٢٩٤م، بعد استيلائه على صنعاء لأول مرة. (٣٢) وبعد مجيء الداعي الهارب فيروز إلى اليمن وتشجيعه لابن الفضل على الخروج عن طاعة المهدي، وجد ابن الفضل الفرصة سانحة لتحقيق طموحه، خاصة وأنه أضحى سيد اليمن بلا منازع عندما دخل صنعاء للمرة الثانية سنة ٩١١/٥٢٩٩م، وحول هذا الأمر يقول الحمادي اليماني: «فلما أصبحت اليمن بيده وقتل الأضداد مثل المناخي وجعفر بن الكرندي والرؤساء وطرد بني زياد وكانوا رؤساء مخالف جعفر ولم يبق له ضد يناوئه عطل المنصور وخلع عبيد بن ميمون» (٣٤).

وكتب ابن الفضل إلى صاحب الدعوة، ابن حوشب، يخبره بما عزم عليه ويسأله أن يدخل في طاعته، ولم يشأ ابن حوشب أن يقسو عليه، فردّ عليه بجواب فيه لين ومعاتبه وتذكير بالعهود والمواثيق التي قطعها ابن الفضل على نفسه، وبالضرر الذي سيلحق بالحركة نتيجة الانقسام، وأن ذلك سيبيح الفرصة للاعداء لاعادة جمع شملهم والانقضاض عليها؛ وما قاله ابن حوشب المنصور في كتابه:

«كيف تخلع من لم تل خيراً إلا به وتترك الدعاء إليه فما تذكر ما بينك وبينه من العهود وما أخذ علينا جميعاً من الوصية على الاتفاق وعدم الافراق» (٣٥) ولكن جواب ابن الفضل تضمن الكثير من الخبث والمكر والانتهازية، فقد كتب إلى ابن حوشب يقول: «إنما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها ولي بأبي سعيد الجنابي اسوة لأنه خلغ ميموناً وأبنة ودعا إلى نفسه، وأنا أدعو إلى نفسي فإذا نزلت على حكمي ودخلت في طاعتي وإلا خرجت اليك». (٣٦).

باستلام ابن حوشب لهذا الرد، أيقن أن صاحبه قد عزم على الاستقلال، وأنه لن يتراجع عن هذا القرار، فكان عليه اتخاذ خطوات حربية ضرورية للدفاع

عن دعوته وأصحابه اتباع الدعوة. فقام بتحصين جبل مسور، وأعد فيه جميع ما يحتاجه للحصار، وكان يقول لأصحابه: «إنما حصنت هذا الجبل من هذا الطاغية وأمثاله، ولقد عرفت الشر بوجهه حين اجتماعنا بصنعاء» (٣٧). ولم يلبث ابن الفضل أن خرج لقتال ابن حوشب، وسار إليه بجيش كثيف قوامه عشرة آلاف مقاتل اختارهم من الرجال المعدودين في عسكره، وخرج ابن حوشب بألف مقاتل، والتقى الجمعان في شبام (٣٨) ولم تكن المعركة متكافئة بين الطرفين، فانسحب ابن حوشب إلى بلدة لاعة ثم طلع جبل الجعيمة القريب من مسور، فلحقه ابن الفضل بعساكره وحاصره، واستمر الحصار طوال ثمانية أشهر. ولما طال الحصار ولم يدرك ابن الفضل غايته وملّ المقام هناك، أرسل بن حوشب إليه من يفاوضه بأمر الصلح فوافق على ذلك بعد أن رسل ابن حوشب ولده إليه رهينة، وكدليل على دخوله في طاعة ابن الفضل (٣٩) وهكذا أصبح ابن الفضل سيد اليمن بلا منازع بعد أن أخضع صاحبه ورئيسه السابق، ابن حوشب، الذي لم يتمكن من الحصول على أية مساعدة من الامام محمد المهدي القائم في المغرب في تلك الفترة لانشغاله بإرساء قواعد دولته الوليدة. وعمل ابن حوشب خلال الفترة المتبقية من حياته على الحفاظ على البقية الباقية من أتباعه المخلصين له ولدعوته.

٣. أعمال ابن الفضل ونهاية الحركة الفاطمية في اليمن:

عاد ابن الفضل إلى المذيخرة بعد عقد الصلح مع ابن حوشب ومعه ولد ابن حوشب الذي بقي عنده لمدة عام كامل أعاده بعدها إلى والده وقد طوَّقه بطوق من ذهب (٤٠) وفي المذيخرة عمد ابن الفضل إلى تحليل المحرمات وإباحة المحظورات وارتكاب الفواحش التي ينسبها إليه المؤرخون اليمنيون، (٤١) والتي نرى أن فيها الكثير من المبالغة وعدم الواقعية. فقد ذكر العصامي أن ابن الفضل غلا في عقائده وخرج على مبادئ الاسلام وادعى النبوة، وأن المؤذن أذن في مجلسه: «وأشهد أن علي بن الفضل رسول الله»، وصار يكتب إلى عماله: «من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها، علي بن الفضل إلى عبده

فلان» (٤٢) ونُسبت إليه أعمال شنيعة كثيرة أخرى ليس لنا أن نحصرها كلها هنا. (٤٣)

وفي نظر الكتاب الاسماعيليين، كان علي بن الفضل خارجاً على الدين الحنيف أيضاً. فذكر القاضي النعمان ان الداعي فيروز عندما لم يستطع أن يستزل ابن حوشب سار إلى رفيقه «فسخر منه، فانسخ علي بن الفضل من أمر الله وأمر أوليائه، واستحل المحارم ورفض الظاهر ودعا الناس إلى الاباحات... ومات علي ذلك من غيّه وضلاله» (٤٤) وجاء على لسان الداعي عماد الدين ادريس قوله أن علياً بن الفضل «كان قد نكث عهده، واستهواه الشيطان وأضلّه، ففارق الدعوة وخرج من الملة... وافتري على الله وعلى أوليائه، مقتدياً بالمضلين من قبله، فكان له شرٌ أسوأ، واستمال الجهال، فكاثروا له من الأنصار والأتباع، فارتكب المحارم، ومال إلى الاباحات، وكفر بعد ايمانه، وباء بلعنة الله» (٤٥).

وهكذا نجد أن مصادرنا الاسماعيلية وغير الاسماعيلية ترى في حركة ابن الفضل الاستقلالية خروجاً على الدين الحنيف والشرعية لاسلامية، ولذلك فإنه ليس لنا أن ننسب إلى ابن حوشب ودعوته ما قام به ابن الفضل واتباعه من ارتكاب المحارم والفواحش وتعطيل المذاهب، لأن ابن حوشب ظل على ولائه للفاطميين حتى وفاته، وكان دائم الاتصال بهم في جميع المناسبات، فظل متمسكاً بالدعوة على حد قول الهمداني الذي ينقل عن الداعي ادريس أيضاً قوله:

وعجباً لمن ينسب إلى أهل الدعوة من أتباع الأئمة أفعاله، وهم إلى الله وإلى أوليائه منه براء، ولا يفعلون مافعل، ولا يرون مايري، قائمون بالأعمال الشرعية من الطهارات والصوم، مؤتون الزكاة، حاجون بيت الله الحرام، متولون محمداً صلى الله عليه وسلم وعلياً وصيه... (٤٦)

أما فيما يتعلق بامور دولة ابن الفضل وأحوالها في هذه الفترة فلا نعلم عنها إلا القليل، والواضح أنه تابع أعماله الحربية لاختضاع حركات التمرد التي كانت تقوم هنا وهناك ضد تسلطه وهيمنته. كما تصالح مع أسعد بن أبي يعفر الحوالي، صاحب صنعاء السابق، وعينه والياً على صنعاء، فخطب أسعد لابن الفضل، ولبس البياض، وقطع ذكر بني العباس، وذلك اواخر سنة ٢٩٩هـ /

٩١١م. (٤٧) ويذكر يحيى بن الحسين أن ابن الفضل حاول نشر مذهبه ومد سيطرته ونفوذه خارج حدود اليمن، فبعث قائدتين من قواده هما حسن بن محمد بن أبي الملاحق الصنعائي، ومحمد بن درهم الجنايني إلى مكة سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، لكن عامل المدينة قبض عليهما وضربهما بالسياط حتى ماتا ثم صلبهما. (٤٨) وبعث برجلين إلى بني جيش فقتلا أيضاً. (٤٩) ماعدا ذلك لانجد في مصادرنا شيئاً يذكر، فلا نعلم شيئاً عن علاقة ابن الفضل بالامام الزيدي القائم في صعبه، والذي كان ينافس الحركة الفاطمية، ولا عن علاقة ابن الفضل بقرامطة البحرين.

لكن ابن الفضل لم يستطع التعمع طويلاً بالزعامة والاستقلال، إذ لم تنقض سنوات ثلاثة على حركته حتى توفي بعد أن قصده أحدهم بموضع مسموم. وقد اختلف المؤرخون حول شخصية الطبيب الذي قام بعملية القصد، وكذلك من يقف وراء هذه الخطة المحكمة لقتل ابن الفضل والتخلص من سطوته وآثامه وشروبه. فالداعي عماد الدين أدريس يقول أنه بعد أن

قوي أمر ابن الفضل وملك صنعاء، وكان ذلك وقد صار امير المؤمنين المهدي بالله عليه السلام في دار ملكه بأفريقية، وظهر أمره، واشتهر فضله في البرية، فلما بلغه صلوات الله عليه حال هذا اللعين [يعني بن الفضل] وأنه استفحل أمره، واجتمع إليه أتباعه اللعناء الكافرون، أمر رجلين من أهل دعوته، ومن في حضرته حتى وصلا إلى مدينة صنعاء، وتسميا أنهما طيبان، حتى دخل أحدهما على ابن الفضل لعنه الله فقصده وجعل في مقصده سماً قاتلاً. وخرج من عنده ويادر بالهرب هو وصاحبه، ومات ابن الفضل لعنه الله، وعجل الله بروحه إلى النار، ولحق بأمثاله من الكفار والفجار، وأخذ أصحاب ابن الفضل في طلب الرجلين اللذين قصدها، وما زالوا يتبعونهما ويسألون عنهما حتى انتهى إلى موضع تحت (نقيل صيد)، فأدركا هناك وقتلا رجلاً الله عليهما... وانقطع أمر اللعين علي بن الفضل بعد موته، وتفرق أتباعه من الغوغاء اللعناء (٥٠)

أما الحمادي اليمني، وينقل عنه الخزرجي، فيجعل الطبيب رجلاً شريفاً من بغداد وصل إلى الأمير أسعد بن أبي يعفر، الذي كان قد ولي صنعاء لعلي بن الفضل،

وكان جراحاً ماهراً وله براعة في استخدام الأدوية، وفتح العروق ومداواة الجرحى. وعندما رأى هذا الغريب شدة خوف وحذر ابن أبي يعفر من ابن الفضل قال له: قد عزمت على أن أهب نفسي لله وللمسلمين، وأريح الناس من هذا الرجل الطاغى، فقال له أسعد: لكن فعلت، ثم عدت إلي لأقاسمك فيما أنا فيه من الملك، فلأخذ منه عهداً وميثاقاً وخرج من صنعاء يريد المذيخرة [مقر ابن الفضل]، فلما قدمها خالط وجوه الدولة وكبراءها وسقاهم الأدوية النافعة، وفصد من أحتاج إلى الفصد، وأنتفع به أناس كثير، فرفع ذكره إلى علي بن الفضل، وأثنى عليه في حضرته، وقيل له إن لا يصلح إلا لملك.

فلما كان ذات يوم أحب الفصاد، فطلبه، فلما حضر بين يديه جرده من ثيابه وغسل الموضع وهو ينظر وكان قد دهن أطراف شعر لحيته بسم قاتل، فلما دنا منه ليفصده، وقعد بين يديه، مص الموضع تنزيهاً لنفسه، ثم مسح بأطراف شعره، كالمجفف له، فعلق منه معلق من السم، ثم فصد الأكمل وربطه، وخرج من فوره هارباً من المذيخرة،

وبعد ساعة أحسّ ابن الفضل بالسم فطلب الطبيب الغريب فلم يجد له خبراً فأرسل العسكر وراءه وأدركوه في وادي السحول وهو في طريقه إلى صنعاء، ورفض تسليم نفسه وقاتل حتى قتل، وتوفي علي بن الفضل عقب ذلك ليلة الخميس النصف من ربيع الآخر سنة ثلاثة وثلاثمائة، وكانت مدة حكمه سبع عشرة سنة. (٥١)

وقيل أن ذلك كان في سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥ (٥٢) أي بعد وفاة ابن حوشب بعام واحد، غير أن الاشارات الموجودة في المصادر الاسماعيلية تجعلنا نشك بصحة هذا التاريخ؛ فقد نقل كل من الهمداني ومحمود عن الداعي عماد الدين ادریس، صاحب عيون الاخبار، قوله «أن الداعي أبا القاسم استقر أمره بعد قتل هذا اللعين» (٥٣) كما ورد في سيرة الحاجب جعفر ان ابن حوشب حارب ابن

الفضل وفيروز حتى قتلها. (٥٤) وربما كان العكس هو الصحيح، أي أن وفاة ابن الفضل كانت في سنة ٣٠٢/٩١٤م، ووفاة ابن حوشب في سنة ٣٠٣/٩١٥م. وقام بالأمر بعد مقتل ابن الفضل ولده الفأفأ. وقد فرح أهل اليمن بوفاته، كما يخبرنا الجندي، وقاموا بالكتابة إلى أسعد بن أبي يعفر لمحاربة اتباع ابن الفضل. (٥٥) وكان ابن أبي يعفر ينتظر مثل هذه الفرصة، فما إن سمع بوفاته بن الفضل حتى سارع إلى جمع جيش من أهله وأهل الجند والمعاقر، وسار به إلى المديخرة عاصمة ملك الفأفأ بن علي بن الفضل، وحاصرها لمدة عام كامل. (٥٦) وتمكن ابن أبي يعفر من دخول المديخرة بعد ذلك وقتل الفأفأ وأصحابه وأتباعه، وسبى بناته، وخرب المدينة، وانقطعت دعوة ابن الفضل من مخلاف جعفر سنة ٣٠٤/٩١٦م. (٥٧)

وهكذا يكون ابن الفضل قد قضى على دعوته بنفسه عندما ثار على رئيسه ابن حوشب، مما أضعف الحركة الفاطمية في اليمن، وأضعف رجالها، وأتاح الفرصة لاعدائها للنهوض من جديد ومحاربتها بكل شدة وعنف وشراسة.

أما ما حدث لابن حوشب وحركته بعد الصلح الذي عقده مع علي بن الفضل وحتى وفاته سنة ٣٠٢هـ أو ٣٠٣/٩١٤ أو ٩١٥م، فلا نجد في مصادرنا أية إشارة إلى ذلك. غير أننا نعلم أن ابن حوشب أصبح ضعيف الجانب بعد عقد هذا الصلح، خاصة وأن سيده الامام محمد المهدي، القائم في إفريقية، لم يستطع إرسال أية مساعدة إليه في ذلك الوقت، لانشغاله بإرساء قواعد الدولة الفاطمية الوليدة في المغرب. (٥٨) ويبدو أن ابن حوشب اضطر إلى التستر والتواري عن الأنظار، وإلى العمل بشكل سري للحفاظ على بعض المكسبات التي حققها سابقاً. ولم تطل مدته بعد ذلك، إذ لم يلبث أن أدركته المنية في سنة ٣٠٢ أو ٣٠٣/٩١٥م. (٥٩).

ولم يعين ابن حوشب أحداً من أبنائه الكثر لرئاسة الدعوة من بعده، وترك الأمر للامام المهدي، لكنه أشار إلى علو منزلة عبد الله بن عباس الشاوري، أحد أعوانه المقرين وتلامذته المخلصين، وتفضيله إياه على ولده الحسن بن منصور. (٦٠) ولما دنت منيته أوصى لولده الحسن، ولعبد الله الشاوري للقيام

بالأمر ورئاسة الحركة حتى يرد أمر المهدي بولاية أحدهما، وما قاله لهما في ذلك: «أوصيكما بهذا الأمر فاحفظاه ولا تقطعا دعوة [أئمتنا] فنحن غرس من غروسهم، ولولا مادعونا إليه من طاعتهم لم يتم لنا مراد وعليكم بمكاتبة إمامنا المهدي فلا تقطعا أمراً دون مشاورته» (٦١).

٤- الحركة الفاطمية في اليمن بعد ابن حوشب:

واجهت الحركة الفاطمية في اليمن تراجعاً دينياً وسياسياً واضحاً عقب وفاة ابن حوشب الداعي الأكثر حماساً للإمام المهدي الفاطمي، فانتهدت الدولة التي أسسها خلال الربع الأخير من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ومع ذلك فإن جذوة الدعوة لم تخبو تماماً بل استمرت نشطة، بشكل مستور خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وبقيت بعض القبائل اليمنية على ولائها السري للدعوة، وخاصة قبائل همدان.

وبعد وفاة ابن حوشب، قام ابنه الحسن بزيارة للإمام محمد المهدي في المهديّة بالمغرب وسأله أن يوليه أمر الدعوة في اليمن، لكنه وجد أن الامام كان قد أرسل بالولاية إلى عبد الله بن عباس الشاوري، أول الدعاة السبعة الذين تولوا رئاسة الدعوة السرية في اليمن خلال الفترة من ٣٠٣/٩١٥م وحتى ٤٢٩هـ/١٠٣٨م تاريخ ظهورها مرة أخرى على يد علي بن محمد الصليحي في عهد الامام الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله (٦٢). عاد الحسن بن منصور إلى اليمن خائباً وهو مضمّر الشر للشاوري، ومصمم على قتله والتخلص منه على الرغم من أن والده ابن حوشب هو الذي كان قد فضله عليه ورشحه لهذا الأمر. وبالفعل فقد أخذ الحسن بن منصور يدبر لقتل الشاوري والاستيلاء على رئاسة الدعوة متجاهلاً تحذيرات اخوته، وعلى رأسهم جعفر بن منصور، له. وفي أحد الأيام من سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، سنحت الفرصة للحسن عندما دخل على الشاوري ولم يجد أحداً غيره، فعاجله بالسيف وقتله، واستولى على الحكم، ولما استوثق من الأمر جمع رعاياء دولته

وأشهدهم على نفسه انه قد خرج من مذهب [أبيه] إلى مذهب أهل السنة. فأحبه الناس ودانوا له فدخل عليه أخ يسمى جعفر فنهاه عما فعل وقبحه

عليه، فلم يلتفت إليه، وقتل [أتباع أبيه] الذين حوله وشردهم في كل وجه، لكن الأمر لم يطل بالحسن إذ وثب عليه نائبه ابن أبي العرجاء أثناء دخوله بلدة عثر محرم، وقتله واستولى على مانتحت يده. ثم وثب المسلمون على أولاد منصور بن حسن وحريمهم أثناء خروجهم إلى جبل ذي عسب وقتلوهم وسبوا نسايتهم، واقتسم كل من ابراهيم بن عبد الحميد وابن أبي العرجاء البلاد نصفين وعاد ابراهيم إلى مذهب أهل السنة وخطب للخليفة العباسي (٦٣).

وتتبع ابراهيم بن زياد وولده مواصلة من تبقى من أتباع منصور اليمى بالقتل والتشريد حتى لم يبق منهم سوى عدد قليل التجأوا إلى ناحية مسور، وتولى أمرهم رجل يدعى يوسف بن موسى بن أبي طفيل زمن الامام الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣١٧ - ٣٦٥هـ). (٦٤) ولم يطل العهد بابن أبي طفيل، إذ قتله ابراهيم بن عبد الحميد، فتولى أمر الدعوة بعده جعفر بن أحمد بن عباس الذي يقال أنه ابن أخي عبد الله بن عباس الشاوري، خليفة ابن حوشب. وجاء بعد جعفر عبد الله بن محمد بن بشر الذي عاصر الامام الخليفة العزيز بالله (٣٤٤ - ٣٨٦هـ) ثم جاء هرون بن محمد بن رحيم الذي عاصر الامام الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٧٥ - ٤١١هـ). وقد تلقى من الامام الحاكم سجلاً سنة ٣٩١هـ، يوجهه فيه لتنظيم أمور الدعوة في اليمن (٦٥) وتولى شؤون الدعوة بعد هرون يوسف بن أحمد بن الاشجع، وهو من أهل شبام حمير، وكانت مدة ولايته خلال عهد الحاكم بأمر الله أيضاً، وأخيراً تولى سليمان بن عبد الله الزواحي من ضلع شبام حمير أمور الدعوة باعتباره آخر دعاة هذا الدور، وأدرك عهد الخليفة الامام الحاكم بأمر الله، وولي عهده الظاهر، وكان مركز عمله في حصن كوكبان. (٦٦)

ومهما يكن من أمر فإن هؤلاء دعاة قاموا بأعمال ونشاط في اليمن في عهد أطلق عليه المؤرخون أسم عهد الشدائد والحن، وققدان المصادر والأخبار، وظلوا على هذه الحال حتى ظهور الداعي الثامن، علي بن محمد الصليحي، رأس الأسرة الصليحية، والذي تمكن في عام ١٠٣٨/٤٢٩م من التغلب على سائر

أنحاء اليمن، ووطد الأمر لنفسه ولأسرته من بعده، والتي حكمت اليمن باسم الخلفاء الفاطميين قرابة قرن من الزمان، حتى عام ٥٣٢/١١٣٨م (٦٧)

وعادت اليمن، بعد انحسار الحركة الفاطمية الأولى على أرضيها، إلى التمزق والتشتت السياسي مرة أخرى، وكما كانت الحال قبيل مجيء ابن حوشب إليها مع بداية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وراحت عدد من الأسر المتنافسة تتقاسم ذلك البلد وأهمها: الزيادية (٢٠١ - ٨١٩/٥٢١٤ - ١٠٢١م) وعاصمتها زبيد في تهامة، واليعفرية (٢٤٧ - ٨٦١/٥٣٨٧ - ٩٩٧م) في صنعاء والجند، والنجاحية الذين كانوا في الأصل من الأحباش عبيد الزياديين، والذين ورثوا الدولة الزيادية لفترات متقطعة من (٤١٢ - ١٠٢١/٥٥٥٤ - ١١٥٩م) في زبيد، بينما استمر وجود الزياديين في صعدة في شمال اليمن. (٦٨)

٥- جعفر بن منصور اليمن:

رأينا قبل أن نختم حديثنا عن الحركة الفاطمية الأولى في اليمن التي قامت بفضل الجهود الجبارة التي بذلها منصور اليمن ابن حوشب، الذي تمكن بفضل شدة بأسه وشجاعته ودرايته وذكائه وإخلاصه وتفانيه المنقطع النظير من تأسيس دولة فاطمية في مدى قصير من الزمن، في بيئة سياسية واجتماعية تميز بها اليمن على مرّ العصور، أحسن استغلالها وتوظيفها في خدمة حركته وأهدافه، رأينا أن نشير إلى ما حققه أحد أبناء هذه الشخصية الفذة والعبقرية المتميزة، جعفر بن منصور، من مآثر حربية وفكرية كرّسها لخدمة أئمتهم ودولتهم الفاطمية الناشئة في افريقية (المغرب). والمعروف ان ابن حوشب خلف عدداً من الأبناء والبنات، واشتهر من أولاده في التاريخ اثنان: حسن بن منصور، وهو الأكبر والذي رأينا كيف استاء من تولية والده لعباس الشاوري في رئاسة الدعوة من بعده، وقتل الشاوري بعد ذلك، وانقلب على مذهب أبيه، لكنه سرعان ما نال جزاء ما اقترفته يده عندما قتله احد أصحابه، فكان الصفحة القاتمة والفرع المريض في ذرية منصور اليمن، والثاني جعفر بن منصور الذي يمثل الصفحة الغراء في ذرية والده ابن حوشب.

وكان جعفر بن منصور قد رفض اتباع أخيه الحسن في انقلابه على دعوة أبيه وعودته إلى مذهب أهل السنة، وبقي على ولائه للفاطميين، وغادر اليمن متوجهاً إلى شمال أفريقية حيث يقيم الامام القائم بأمر الله، ثاني الأئمة الخلفاء الفاطميين (٢٨٠ - ٨٩٢/٥٣٣٤ - ٩٤٤م) في المهديّة. وهناك دخل جعفر في خدمة الامام القائم بأمر الله، وخلفائه من بعده، وساهم بسيفه في الدفاع والقتال ضد الثائرين على الدولة الفاطمية الوليدة. ففي عام ٩٤٥/٥٣٣٣م، قاتل جعفر ضد المتمرّد أبو يزيد مخلد بن كيداد الذي كان يحاصر المهديّة في أواخر عهد الامام الخليفة القائم بأمر الله. وتم دحر أبو يزيد بفضل استبسال وشجاعة المدافعين، وخلد جعفر انتصار الفاطميين هذا بقصيدة يقولها فيها:

الحمد لله هذا الفتح والظفر هذا الذي كان للامان ينتظر
فاستبشروا يارجال الدين وانتلبوا لحرب قوم هم ضلوا وهم كفروا
فان وعد امير المؤمنين لكم حق به جاءت الآيات والسور (٦٩)
كما قاتل في عهد الامام المنصور (٣٠١ - ٩١٣/٥٣٤١ - ٩٥٣م)، خليفة القائم بأمر الله، ضد أبي يزيد بن مخلد مرة أخرى، وذلك في سنة ٩٤٧/٥٣٣٥م، حيث سجل الامام الخليفة المنصور انتصاراً ساحقاً على المتمرّد أبي يزيد. وخلد جعفر هذه الموقعة أيضاً في اشعاره فقال:

يا سيد الخلق من عجم ومن عرب	يهنيك نصرا بما قد رمت من سبب
ولم يكن قبله في سالف الحقب	يوم المسيلة يوم لا كفأ له
كالكلب في سجع معداه في الكلب	لما غدا المارق الدجال مختبلا
في موكب الخيل مثل البدر في الشهب	وسيد الخلق اسماعيل حينئذ
إلى الرشاد استفادت نجمة العرب	وسيف جديده اعني ذو الفقاريه
تحت السيوف الصوادي شرم قلب (٧٠)	فادبرت عصب الدجال وانقلبت

كانت لمواقف جعفر بن منصور من أعداء الفاطميين، ومشاركته في القتال ضدهم، ونظم الأشعار في وصف تلك الانتصارات، وإخلاقه لأئمة، الأثر الكبير في أن أخذ جعفر يرتقي درجات رفيعة في ظل الأئمة الخلفاء، فانصرف إلى البحث والتأليف والتصنيف، وأصبح من أهم ممثلي المدرسة الفكرية التي تبنّت التأويل والإصلاح العقائدي الذي كان الامام المعز لدين الله (٣١٧ - ٩٢٩/٥٣٦٥ م - ٩٧٧ م) يعمل على تحقيقه. (٧١) وقد قرّب الامام المعز إليه ووفر له أسباب العيش المادية، لكنه لم يتسلم أية مناصب عامة في دولة الفاطميين في أفريقية، بل تفرغ للكتابة والتأليف. غير أن الداعي عماد الدين أدریس ينسب إليه ارتقاؤه درجات رفيعة فاقت درجة القاضي النعمان بن حيون زمن الامام المعز. وتوفي جعفر في تاريخ غير معروف تماماً، لكنه بعد الامام المعز بفترة وجيزة (أي بعد ٩٧٧/٥٣٦٥ م) (٧٢)

ويورد المستشرق المعروف ايفانوف (W.Ivanow) المتخصص بالدراسات الاسماعيلية، في كتابه (المرشد إلى الادب الاسماعيلي) (٧٣) أهم أعمال ومصنفات جعفر بن منصور المعروفة وهي:

- ١- كتاب الكشف: حققه شتروطمان، بومباي، ١٩٥٢، ويبحث في ميشولوجية القرآن الكريم وتفسيره الباطني.
- ٢- أسرار النطقاء: وهو عبارة عن كتابين في كتاب واحد، ويبحث بشكل رئيسي في تأويل الأمثال والقصص القرآني والتوراتي.
- ٣- الشواهد والبيان في اثبات مقام أمير المؤمنين والأئمة: وهو في تفسير الآيات التي تشير صراحة إلى الامام علي ومقام خلفائه من بعده.
- ٤- تأويل الزكاة: وفيه شرح للمعنى الباطني لفريضة الزكاة، وهو من أفضل ما كتبه المؤلف.

٥ - الفترات والقراءات: ويعرف باسم الجفر الأسود، غير أن كراوس يرى أنه لا يمكن لهذا الكتاب، كما هو في نسخته المنتشرة عند الاسماعيليين البهرة، أن

يكون من تأليف جعفر بن منصور لأن فيه اشارات إلى الابن المزعوم للأمير بالله، الطيب ، الذي اختفى وغاب عام ٥٥٢٤/١١٣٠م.

٦- الفرائض وحدود الدين: وهناك كتاب آخر بعنوان تأويل الفرائض، للمؤلف نفسه.

وله أيضاً: الرضى في الباطن، وتأويل الحروف المعجمة، وتأويل سورة النساء، وسيرة ابن حوشب (وهو مفقود)، كما ينسب إليه كتاب العالم والغلام، المنسوب إلى والده ابن حوشب.

حواشي الفصل الرابع

(١) Daftary, The Ismailis, P.118&

(٢) الجندي، السلوك، ص ١٤٥،

(٣) ابن المؤيد، أبناء الزمن، ص ٤٥،

(٤) ومنها:

إذا الناس صلوا فلا تنهضي وإن صوموا فكل واشربي
ولا تمنعي نفسك المعرسين من اقربي ومن اجنبي
وما الخمر الا كماء السماء حلالاً فقدست من مذهب

وقد وردت هذه الآيات في معظم كتب المؤرخين غير الاسماعيليين، ومنها:
الحمادي، كشف، ص ٣١؛ الجندي، السلوك، ص ١٤٤؛ نشوان الحميري، الحور
العين، ص ١٩٩،

(٥) اليماني، سيرة جعفر (الحاجب)، ص ١١٢،

(٦) كان فيروز داعي الدعاة وأجلّ الناس عند الامام وأعظمهم منزلة والدعاة
كلهم أولاده ومن تحت يده وهو باب الأبواب إلى الأئمة . المصدر ذاته،
ص ١١٠،

(٧) النعمان، افتتاح، ص ١٤٩،

(٨) اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص ١١٤ - ١١٥، سرور، النفوذ لفاطمي،
ص ٦٣،

(٩) جاء في رواية الحاجب جعفر ان الداعي ابن العباس قال للنوشري، عامل
العباسيين على مصر، حين سأله عن حقيقة المهدي المختفي عنده: أما الرجل
النازل عليّ فوالله لا وصل إليه شيء إلا ما يصل إليّ لأنه رجل هاشمي
شريف، تاجر من وجوه التجار، معروف بالفضل والعلم واليسار، والذي

أتى الرسل في طلبه قد اعطيت خبره أنه توجه إلى اليمن قبل ورود هذا
الرسول بمدة طويلة. سيرة الحاجب جعفر، ص ١١٣؛ انظر أيضاً ماورد عند
سرور في النفوذ الفاطمي، ص ٦٢ - ٦٣

(١٠) ادريس، عيون الأخبار، (تح. غالب)، ج ٥، ص ٩٥ - ٩٦؛ وقد أورد
الهمداني هذه الرواية في كتابه، الصليحيون، ص ٤١

(١١) غاية الأمان، قسم ١، ص ١٩٧؛ انظر أيضاً ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص
٤٦؛ الشرفي، اللآلي، ج ٢، ورقة ٨٦،

(١٢) الحمادي، كشف، ص ٣٢؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص
٤٢٢،

(١٣) الخزرجي المصدر ذاته، ص ٤٢٢ - ٤٢٣،

(١٤) الشرفي، اللآلي، ج ٢، ورقة ٨٦؛ يحيى، غاية الأمان، قسم ١، ص ٢٠٢

(١٥) ابن المؤيد، أنباء الزمن، ص ٥٤

(١٦) يحيى، غاية الأمان، قسم ١، ص ٢٠٢؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص
٤٢٥،

(١٧) الهمداني، الصليحيون، ص ٤٠؛ وقد وردت هذه الآراء خلال مناقشته
لانتقاض علي بن الفضل على الحركة الفاطمية في اليمن، وتشمل الصفحات
٣٩ - ٤٧،

(١٨) المصدر ذاته، ص ٤٤،

(١٩) المصدر ذاته، ص ٣٩ - ٤٠،

(٢٠) المصدر ذاته، ص ٤٣؛ انظر أيضاً محمود، تاريخ اليمن، ص ١٤٥ -
١٤٦؛ ولذي يورد مثل هذه الآراء وله ذات التساؤلات.

(٢١) ذكر تامر أن الداعي فيروز أخبر ابن حوشب بأن الأمام المستور الذي كانوا يمشرون به ويعملون له ظهر أنه عبيد الله، وعبيد الله هذا من نسل القداحين كما هو معلوم، وكما كان يقول عن نفسه، فلم يجد أذنأ صاغية. القرامطة، ص ١٤٤

(٢٢) المصدر ذاته، ص ١٤٤؛ وأيضاً للمؤلف، تاريخ الاسماعيلية، ج ١، ص ٢٧٦،

(٢٣) المصدر ذاته، ص ١٤٤؛ وكان ابتداء أمر الجنابي في البحرين سنة ٨٩٩/٥٢٨٦م، وقتل على يد خادم له سنة ٩٣١/٥٣١م. ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٩٣، وج ٨، ص ٨٣

(٢٤) الأعظمي، عبقرية الفاطميين، ص ٧٥ - ٧٦،

(٢٥) حسن وشرف، عبيد الله المهدي، ص ٢٣٣،

(٢٦) Daftary, The Ismailis, PP.131 - 134

(٢٧) الصليحيون، ص ٣٢، ونظر: تامر، القرامطة، ص ١٤٤،

(٢٨) الحمادي، كشف، ص ٣٢،

(٢٩) ذكر البهاء الجندي أنه عندما هدد ابن الفضل صاحبه منصور اليمن بالحرب إن لم يدخل في طاعته، صعد منصور إلى جبل مسور وحصنه وقال: إنما حصنت هذا الجبل من هذا الطاغية وأمثاله، ولقد عرفت الشر بوجهه حين إجتمعنا بصنعاء السلوك، ص ١٤٦؛ وانظر أيضاً، الحمادي، كشف، ص ٣٥؛ الخزرجي، في زكارة أخبار القرامطة، ص ٤٢٥،

(٣٠) ذكر الحمادي أن ابن الفضل بعث إلى ابن حوشب كتاب يبرر له فيه ثورته وخروجه على الحركة الفاطمية، ويدعوه إلى الدخول في طاعته، وجاء فيه: إنما هذه الدنيا شاة، ومن ظفر بها افترسها ولي بأبي سعيد الجنابي اسوة لأنه خلع ميموناً وابنه ودعا إلى نفسه، وأنا ادعو إلى نفسي فيما نزلت

على حكمي ودخلت في طاعتي وإلا عرجت إليك. كشف، ص ٣٣؛ والجندي، السلوك، ص ١٤٦؛ الشرقي، اللآلي، ج ٢ ورقة ٨٦،

(٣١) ومن هؤلاء: الهمداني، الصليحيون، ص ٤٤ وما بعدها؛ محمود تاريخ اليمن، ص ١٤٦ - وما بعدها؛ حسن؛ تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٣٧ - ٣٣٨؛ العرشي، بلوغ المرام، ص ٢٣؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص ٦٣ وما بعدها؛ تامر، القرامطة، ص ١٤٥ - ١٤٦؛ الواسعي، تاريخ اليمن، ص ٢٢ - ٢٣؛ العصامي، سمط النجوم، ج ٣، ص ٤١٠.

(٣٢) انظر أعلاه، دوافع الثورة، ص ٨٣ وما بعدها.

(٣٣) انظر أعلاه، ص ١٠٥.

(٣٤) الحمادي، كشف، ص ٣٣؛ وانظر أيضاً: الجندي، السلوك، ص ١٤٦؛ الشرقي، اللآلي، ج ٢، ورقة ٨٦؛ ابن المؤيد، نباء الزمن، ص ٥٤؛ يحيى، غاية الأماني، قسم ١، ص ٢٠٢؛ الهمداني، الصليحيون، ص ٤٢٥ وما بعدها.

(٣٥) الجندي، السلوك، ص ١٤٦؛ وانظر أيضاً: ابن المؤيد، نباء الزمن، ص ٥٤؛ الشرقي، اللآلي، ج ٢، ورقة ٨٦؛ الخزرجي، في زكار أخبار القرامطة، ص ٤٢٦؛ الهمداني، الصليحيون، ص ٤٥.

(٣٦) الحمادي، كشف، ص ٣٣؛ والجندي، السلوك، ص ١٤٦؛ الخزرجي، في زكار أخبار القرامطة، ص ٤٢٣.

(٣٧) الجندي، السلوك، ص ١٤٦.

(٣٨) الحمادي، كشف، ص ٣٥.

(٣٩) المصدر ذاته، ص ٣٦؛ وانظر أيضاً: الجندي، السلوك، ص ١٤٦؛ الهمداني والصليحيون، ص ٤٦؛ العرشي، بلوغ المرام، ص ٢٣؛ الخزرجي، في زكار أخبار القرامطة، ص ٤٢٦؛ حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٣٧.

(٤٠) الجندي، السلوك، ص ١٤٦ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٦،

(٤١) الحمادي، كشف، ص ٣٦ الجندي، السلوك، ص ١٤٧ الواسعي، تاريخ اليمن، ص ٢٢٢ العصامي، سمط النجوم، ج ٣، ص ٤١٠ ويرى ابن المؤيد أن هذه الاباحات قام بها ابن الفضل عندما دخل صنعاء لأول مرة، أنباء الزمن، ص ٤٥ - ٤٦،

(٤٢) الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٦ العصامي، سمط النجوم، ج ٣، ص ٤١٠ الواسعي، تاريخ اليمن، ص ٢٢ حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٣٨،

(٤٣) منها، على سبيل المثال، ان بن الفضل عمل داراً واسعة يجمع فيها الرجال والنساء من أهل مذهبه للاختلاط في ظلمة الليل، انظر: الجندي، السلوك، ص ١٤٧ الحمادي، كشف، ص ٣٦،

(٤٤) افتتاح الدعوة، ص ١٥٠،

(٤٥) وقد نقل ذلك الهمداني في الصليحيون، ص ٤٣؛ وأشار Dftary إلى ذلك في. The Ismailis, P. 131&

(٤٦) المصدر ذاته، ص ٤٣،

(٤٧) الشرفي، اللآلي، ج ٢، ورقة ٨٦، يحى، غاية لأمانى، قسم ١، ص ٢٠٢،

(٤٨) يحى، غاية الاماني، قسم ١، ص ٢٠٢ - ٢٠٣،

(٤٩) المصدر ذاته، قسم ١، ص ٢٠٣،

(٥٠) الصليحيون، ص ٤٦ ادريس، عيون الاخبار (تع. غالب)، ج ٥، ص ٤٣ محمود، تاريخ اليمن، ص ١٤٨ حسن، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٣٨،

(٥١) كشف، ص ٣٦- ٣٧ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ وأخذ بهذا الرأي كل من: الجندي، السلوك، ص ١٤٨ الشرفي،

اللائي، ج، ٢، ورقة ٨٦؛ تامر، القرامطة، ص ١٤٦؛ العرشي، بلوغ المرام، ص ٢٣، وذكر يحيى وابن المؤيد أن وفاة ابن الفضل كنت بعد ألم ألم به ولم يشير إلى السم، غاية الاماني قسم، ٢، ص ٢٠٨، أنباء الزمن، ص ٦٢، (٥٢) وقد ورد ذلك في المصادر غير الاسماعيلية.

(٥٣) الهمداني، الصليحيون، ص ٤٨؛ محمود، تاريخ اليمن، ص ١٤٨،

(٥٤) اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص ١١٥،

(٥٥) الجندي، السلوك، ص ١٤٩،

(٥٦) المصدر ذاته، ص ١٤٩؛ والحمادي، كشف، ص ٣٧ - ٣٨،

(٥٧) انظر بالاضافة إلى المصدرين السابقين: يحيى، غاية الاماني، قسم، ١، ص ٢٠٩؛

ابن المؤيد أنباء الزمن، ص ٦٢؛ نشوان، الحور العين، ص ٢٠٠؛ الشرفي،

اللائي، ج، ٢، ورقة ٨٧؛ لعرشي، بلوغ المرام، ص ٢٣؛ الهمداني الصليحيون،

ص ٤٨؛ الخزرجي، في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٨؛

Daftary, The Ismailis, p.132&

(٥٨) انظر أعلاه، ص ١١٤ - ١١٥،

(٥٩) انظر أعلاه، ص ١١٩،

(٦٠) الهمداني، الصليحيون، ص ٤٩؛ سرور، سياسة لقاطمين، ص ٧٤،

(٦١) الجندي، السلوك، ص ١٥٠، والحمادي، كشف، ص ٣٩؛ الخزرجي،

في زكار، أخبار القرامطة، ص ٤٢٩؛ سرور، النفوذ الفطمي، ص ٦٦،

(٦٢) تامر، تاريخ الاسماعيلية، ج، ٣، ص ١٤٧،

(٦٣) انظر: الحمادي، كشف، ص ٣٩ - ٤١؛ الجندي، السلوك، ص ١٥٠.

- ١٥٢، الشرفي، اللائي، ج، ٢، ورقة ٨٧؛ الخزرجي، في زكار، أخبار

القرامطة، ص ٤٢٩ - ٤٣١؛ العرشي، بلوغ المرام، ص ٢٤؛ حسن، تاريخ

- الاسلام، ج، ٣، ص ٣٣٨ محمود، تاريخ اليمن، ص ١٤٨ - ١٤٩ سرور،
سياسة الفاطميين، ص ١٧٥ الحمداني، الصليحيون، ص ٥٠ - ٥١،
(٦٤) المصدر ذاته، والصفحات ذاته.
(٦٥) تامر، تاريخ الاسماعيلية، ج، ٣، ص ١٤٧،
(٦٦) المصدر ذاته، ج، ٣، ص ١٤٧،
(٦٧) Daftary, The Ismailis, P.208
(٦٨) المصدر ذاته، ض ٢٠٨،
(٦٩) ادريس، عيون الاخبار (تح. غالب)، ج، ٥، ص ٢٠٦،
(٧٠) المصدر ذاته، ج، ٥، ص ٢٧٤،
(٧١) Daftary, The Ismailis, P179
(٧٢) المصدر ذاته، ص ١٧٩،
(٧٣) W.Ivanow, Ismaili Literature, P.20 FF.

ملاحظات ختامية:

- أولاً: التشيع لعل بن أبي طالب في اليمن قديم قدم الاسلام في ذلك القطر. فقد كان لسفارة علي في اليمن أثرها الكبير في إسلام العديد من القبائل اليمنية وفي مقدمتها قبائل همدان التي أسلمت كلها في يوم واحد على حد قول الطبري، وأصبحت همدان منذ ذلك الحين من أكثر القبائل اليمنية إخلاصاً وموالاة لعل.. وقد ظهر ذلك في معركة صفين التي حاربت فيها قبائل همدان إلى جانب الخليفة علي بن أبي طالب ضد العامل المتمرّد معاوية بن أبي سفيان، وبقيت هذه القبائل تشكل نواة التشيع في اليمن بعد اغتيال الخليفة علي.

وعلى الرغم من سياسة القمع التي سار عليها الامويون، ومن بعدهم العباسيون، ضد شيعة علي وانصاره في كل مكان، إلا أن اليمن بقيت مسرحاً لظهور الحركات الشيعية. ففي بداية القرن الثالث الهجري ظهرت أول دعوة علوية كان لها من الأنصار ما أقلق بال الخليفة المأمون العباسي ودفعه إلى إرسال ابن زياد ليقتضي عليها، ويؤسس الدولة الزيدية في اليمن. ثم ظهرت الدعوة الزيدية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وأدت إلى هيمنة الزيدية على اليمن قرابة الألف عام. وفي الفترة ذاتها قامت الحركة الفاطمية الأولى التي استمرت حتى أوائل القرن الرابع الهجري.

- ثانياً: كان لموقع اليمن الجغرافي وبُعده عن عاصمة الخلافة الاموية والعباسية، دمشق وبغداد، إلى جانب طبيعته التضاريسية ووعورة أرضه، أثره في جذب حركات المعارضة السياسية والدينية إلى ذلك القطر النائي. فكان أن ظهرت مجموعة من الدويلات المستقلة كالزيدية في زيد، والبعفرية في صنعاء، وبقيت أنحاء اليمن الأخرى تخضع لسلطان زعماء محليين متنافسين فيما بينهم ومتحاررين، وهذا ما مهد السبيل وساعد في انتشار الحركة الفاطمية الاولى على يدي ابن حوشب وصاحبه ابن الفضل اللذين أحسنا استغلال جو الفرقة والتناحر هذا في نشر مبادئ حركتهما وكسب الأنصار إليهما.

- ثالثاً: وقف التنظيم الدقيق والمحكم الذي تميزت به الدعوة الاسماعيلية في تلك الفترة وراء نجاح هذه الدعوة في نشاطاتها السرية والعلنية، وكانت سلمية، البلدة الرابضة على أطراف البادية إلى الشرق من مدينة حماه في سورية، مقرأً لهذا التنظيم الذي بقي بعيداً عن أعين العباسيين بفضل مقدرة أئمة دور الستر على اخفاء حقيقة أمرهم، وإقامتهم لشبكة من المقرات السرية في دورهم وقصورهم، انكشفت آثار بعضها حديثاً، والتي استخدمت كمراكز لتدريب الدعاة وتأهيلهم، ومن هؤلاء ابن حوشب وابن الفضل. وكانت سلمية في ذلك الوقت مركزاً تجارياً هاماً على أطراف بادية الشام، سكنها التجار من مختلف الطبقات، واتخذها الأئمة الاسماعيليون المستورون مقرأً لهم، لأنهم كانوا يتزيفون بزي التجار. ومن هذا المركز، كان الامام الاسماعيلي يدير شؤون دعوته في مختلف أنحاء الخلافة الاسلامية عبر شبكة من الدعاة والتنظيمات المعقدة.

رابعاً: مع ان سلمية كانت مقر إقامة الأئمة المستورين الاسماعيلين ومركز نشاطاتهم الادارية والفكرية، إلا أن الكوفة كانت المكان الذي أتخذوه لكسب الأنصار الجدد لدعوتهم، وذلك لقرب لكوفة من ضريح الحسين بن علي في كربلاء. وكربلاء هي قبلة الحجاج الشيعة الثانية يؤمنونها بعد انتهاء موسم الحج إلى مكة. ومن هذا المركز كانت تنطلق قوافل الدعاة الذين كان يبعث بهم الأئمة المستورون إلى مختلف المناطق؛ لأن هذا المكان لاثير الشبهة لدى خلفاء بني العباس. وفي هذا المكان كان لقاء ابن حوشب وابن الفضل بالامام المستور الحسين بن أحمد (أو رضي الدين عبد الله)، ومنه انطلقا فيما بعد إلى اليمن للقيام بالدعوة الاسماعيلية هناك.

- خامساً: كان لاختيار الامام المستور، الحسين بن أحمد، الداعيتين لإرسالهما إلى اليمن مغزاه الذي يعبر عن بعد نظر الأئمة في تقديرهم للأمر. فالرسالة داعيتين إلى منطقة واحدة يتيح لهما التعاون والتعاقد في عملهما، ويشكلان تنظيمين منفصلين إذا انكشف أحدهما، يبقى الآخر في مأمن يتابع عمله ومهمته للوصول إلى هدفه وتحقيق غايته. وقد اختار الامام الحسين الداعي ابن حوشب لترأس الدعوة في اليمن نظراً لمكانة هذا الداعي الرفيعة ونسبه العقيلي [إلى عقيل

بن أبي طالب]، وعلمه وتمرسه في فكر الدعوة وتنظيمها، إضافة إلى شخصية يمنية لانتقل منزلتها عن منزلة ابن حوشب، وذلك لأن ابن الفضل كان على دراية بأمور اليمن وأحوالها، ومن شيعتها، إضافة إلى حنكته السياسية والقتالية وإخلاصه المتفاني الذي أظهره في البداية.

وظهرت الحكمة من هذا التنظيم المزدوج عندما انقلب ابن الفضل على الحركة الفاطمية في اليمن، وتكرّر للعهود التي قطعها للامام المستور، وانقضت على منجزات ومكتسبات هذه الدعوة فخطفها لنفسه بعد أن أعمت بصيرته طموحاته الشخصية وغروره وحب الاستئثار بالسلطة والاستقلال نتيجة نجاحه الباهر في القضاء على أعدائه وإخضاع معظم اليمن لسيطرته. فكان تنظيم ابن حوشب هو الملاذ لأهل الدعوة المخلصين الذين حافظوا على ولائهم لصاحب الدعوة، ولم يفرطوا بمكتسباتهم، ورفضوا الرضوخ لنزوات ابن الفضل التي أودت بالحركة الفاطمية الأولى في اليمن وأجهزت عليها وهي في قمة نجاحها.

- سادساً: كان لهرب الداعي فيروز، داعي دعاة المهدي، من مصر إلى اليمن، أثره الرئيسي والمباشر في خروج علي بن الفضل على الدعوة التي أمضى أكثر من عشرين عاماً يكافح في سبيل نشر لوائها على ربوع اليمن. وليس من تفسير لهذا الهرب سوى أنه تبين لفيزوز أنه لم يكن على اطلاع على كامل تنظيم الدعوة السرية، بدليل أنه لم يكن مطلعاً على حقيقة الجهة التي كان المهدي يسير إليها أثناء خروجه من سلمية. بعد افتضاح أمره هناك مع نهاية عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٦م. وما كان فيروز يعلمه هو أن الامام محمد المهدي ذاهب إلى اليمن حيث ظهرت دولته هناك وانتصرت على يد منصور اليمن، ابن حوشب، وعندما أبلغه الامام المهدي، وهو في مصر، أنه ذاهب إلى المغرب حيث كان الداعي أبو عبد الله الشيعي يهدد الأمر له هناك، تغير فيروز، وخالف الامام، وسار إلى اليمن بقصد فتنة أصحاب الدعوة هناك. وعندما فشل في خداع منصور اليمن والتأثير عليه ليخرجه على طاعة المهدي، تحول إلى صاحبه ابن الفضل الذي كان على أتم الاستعداد لمثل هذا الأمر، فأعلن خروجه من دعوة المهدي، وأعلن استقلاله، وحارب منصوراً وقضى على الحركة الفاطمية الأولى في ذلك القطر.

- سابعاً: لم يتوفر لدينا ما يفيد الربط بين الحركة الفاطمية الأولى في اليمن، والحركة القرمطية في الشام وسواد العراق والبحرين، والمعروف أن الحركة القرمطية لم تظهر على مسرح التاريخ إلا في وقت متأخر من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، أي في الوقت الذي كانت فيه الحركة الفاطمية في اليمن قد ظهرت وسيطرت على مجمل أراضي اليمن، ولم يبق لها من منافس يذكر في تلك الديار سوى الحركة الزيدية في صعدة في شمال اليمن، يضاف إلى ذلك أن علاقة القرامطة بالامام محمد المهدي اتسمت بالعداء منذ نشأتها، وأنهم حاولوا منع مسير المهدي من سلمية إلى المغرب والقبض عليه لكنهم فشلوا. بينما حافظ منصور اليمن، زعيم الحركة الفاطمية الأولى في اليمن، على ولائه وإخلاصه لامامه الحسين بن أحمد (أو رضي الدين عبد الله)، ولولده محمد المهدي من بعده، حتى وفاته سنة ٣٠٢/٩١٤م، ورفض التعاون مع فيروز وابن الفضل للخروج على طاعة المهدي. و ما ورد في رسالة ابن الفضل إلى منصور اليمن بخصوص أبي سعيد الجنابي، إنما هو تعبير عن رغبة ابن الفضل بالاعتداء بأبي سعيد الذي كان هو الآخر يتزعم قرامطة البحرين ومنشقاً عن طاعة المهدي.

وأما تسمية الحركة الفاطمية الأولى في اليمن بالحركة القرمطية من قبل المؤرخين اليمنيين المتأخرين، فإنها لا تعبر عن انتماء هذه الحركة إلى القرامطة، بل هي مجرد تسمية كان يراد بها النيل من سمعة الحركة الفاطمية في اليمن، والتقليل من شأنها وشأن القائمين عليها.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية مرتبة حسب سني وفيات المؤلفين:

آ - المخطوطات:

١ - العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت. ١٣٤٨/٧٤٩)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ١٧ جزءاً، مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت تحت رقم: Ms915 I13 mi a

٢ - ادريس بن الحسن، الداعي عماد الدين (ت. ٨٧٢ / ١٤٦٧)، زهر المعالي، مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت تحت رقم MS297 . 822IZTKA

٣ - عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، سبعة أجزاء، مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت تحت رقم MS297 . 09 Izla A. ويوجد منه الاجزاء ١، ٢، ٤،

٤ - الشرفي، شمس الدين أحمد (ت. حوالي ٨٠٠ / ١٣٩٧)، اللآلي المضية في أخبار أئمة الزيدية، الجزء الثاني. مخطوط في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت تحت رقم: MS 955 . 3 Sh56

ب - الكتب المطبوعة:

٥ - الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت. ٣١٠ / ٩٢٢)، تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الأولى، ١٣ جزءاً، القاهرة، المطبعة الحسينية، ١٣٢٦هـ.

٦ - الحمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت. ٣٣٤ / ٩٤٥)، الأكليل، الكتاب العاشر، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٦٨

٧ - صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد النجدي، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٣

- ٨ - اليماني، محمد بن محمد (ت. بعد ٩٦١/٣٥٠)، سيرة الحاجب جعفر، نشرها ايفانوف في مجلة كلية الآداب في الجامعة المصرية (القاهرة، ديسمبر، ١٩٣٦)، مجلد، ٤ جزء، ٢٠ ص ١٠٧ - ١٣٣،
- ٩ - النعمان بن محمد (القاضي) (ت. ٩٧٣ / ٣٦٣)، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٠،
- ١٠ - ابن سعد، عريب (ت. ٩٧٦ / ٣٦٦)، صلة تاريخ الطبري، تحقيق دي غويه، لندن، بريل، ١٨٩٧،
- ١١ - ابن النديم، محمد بن أسحق (ت. ٩٩٣ / ٣٨٣)، الفهرست، تحقيق غوستاف فلوجل، بيروت، مكتبة خياط، ١٩٦٤،
- ١٢ - النيسابوري، أحمد بن ابراهيم (ت. حوالي ١٠٠٩ / ٤١٠)، استتار الامام، نشرها ايفانوف في مجلة كلية الآداب في الجامعة المصرية (القاهرة، ديسمبر، ١٩٣٦)، مجلد ٤، ج ٢، ص ٨٩ - ١٠٧،
- ١٣ - البغدادى، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت. ١٠٣٧ / ٤٢٩)، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، لا.ت.
- ١٤ - الحمادي، محمد بن مالك بن أبي الفضائل (ت. حوالي ١٠٥٨ / ٤٥٠)، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تصحيح عزت العطار، القاهرة، مطبعة الأنوار، ١٩٣٩،
- ١٥ - الغزالي، أبو حامد (ت. ١١١١ / ٥٠٥)، فضائح الباطنية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤،
- ١٦ - الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت. ١١٥٣ / ٥٤٨)، الملل والنحل، ٣ أجزاء في مجلدين بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم (ت. ١٠٦٣ / ٤٥٦)، القاهرة، لمطبعة الادبية، ١٣١٧،

- ١٧ - عمارة اليمنى، نجم الدين (ت. بعد ٥٦٣ / ١١٧٦)، تاريخ اليمن، نشر في نسخة محققة مع ترجمة إلى الانكليزية في Kay, H.C, Omaras History of Yemen, London, Edward Arnold, 1892
- ١٨ - ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت. ١١٧٥/٥٧١)، التاريخ الكبير، ٦ أجزاء، دمشق، مطبعة روضة الشام، ١٣٣٢
- ١٩ - الحميري، نشوان (ت. ٥٧٣ / ١١٧٧)، الحور العين، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٤٨
- ٢٠ - منتخبات في أخبار اليمن، نشرها عظيم الدين أحمد، اليدن، بريل، ١٩١٦
- ٢١ - الجعدي، عمر بن علي بن سمرة (ت. بعد ٥٨٦ / ١١٩٠)، طبقت فقهاء اليمن تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٧
- ٢٢ - ابن حماد، أبو عبد الله بن محمد بن علي (ت. القرن ٥٦٠م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتها تحقيق فوندر هايدن، الجزائر، ١٩٢٧
- ٢٣ - ياقوت الحموي، شهاب الدين إبي عبد الله (ت. ٦٢٦/١٢٢٨)، معجم البلدان، ٥ أجزاء. بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٥
- ٢٤ - ابن لأثير، عز الدين بي الحسن بن أبي الكرم الشيباني (ت. ٦٣/١٢٣٢)، الكامل في التاريخ، ١٢ جزءاً، بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٦
- ٢٥ - ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت. ٦٥٨/١٢٥٩)، الحلة السيرة، جزآن، تحقيق حسين مؤنس القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣
- ٢٦ - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (ت. ٦٨١/١٢٨٢)، وفيات الأعيان وأنباء الزمن، ٦ جزء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨

- ٢٧ - أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت. ٧٣٢ / ١٣٣١)، المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء، القاهرة، المطبعة الحسينية، ١٣٢٥هـ.
- ٢٨ - الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين (ت. ٧٣٢ / ١٣٣١)، كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك، فصل منه منشور في: Kay, H.C., yaman: its Early Medieval History, London, Edward Arnold, 1892
- ٢٩ - الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أليك (ت. بعد ٧٣٦ / ١٣٣٥)، الدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، المعهد الألماني للآثار، ١٩٦١
- ٣٠ - ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت. ٧٤٩ / ١٣٤٨)، تمة لمختصر في أخبار البشر، جزاء القاهرة، جمعية المعارف، ١٢٨٥هـ.
- ٣١ - ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل (ت. ٧٧٤ / ١٣٧٢)، البداية والنهاية في التاريخ، ١٤ جزءاً، القاهرة، مطبعة السعادة، لا.ت.
- ٣٢ - ابن خلدون، عبد الرحمن (ت. ٨٠٨ / ١٤٠٥)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ١٠ مجلدات، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٨
- ٣٣ - الخزرجي، علي بن الحسن (ت. ٨١٢ / ١٤٠٩)، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، نشر الفصل المتعلق بقرامطة البحرين سهيل زكّار في: أخبار القرامطة في الاحساء - الشام - العراق - اليمن، دمشق، ١٩٨٠
- ٣٤ - المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت. ٨٤٥ / ١٤٤١)، اتعاظ لحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٨
- ٣٥ - المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤ أجزاء، القاهرة، مطبعة النيل، ١٣٢٤هـ.

- ٣٦ - ادريس بن الحسن، الداعي عماد الدين (ت. ١٤٦٧/٨٧٢)، زهر المعاني، تحقيق مصطفى غالب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩١
- ٣٧ - عيون الاخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، الجزء الرابع، ١٩٧٣، والجزء الخامس، ١٩٧٥
- ٣٨ - ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت. ١٤٦٩/٨٧٤)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الطبعة الأولى، ٩ أجزاء، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٢
- ٣٩ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت. ١٥٠٥/٩١١)، تاريخ الخلفاء، الطبعة الثانية، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية، ١٩٥٩
- ٤٠ - القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف (ت. ١٦٦٩/١٠٨٠)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بغداد، ١٢٨٢هـ.
- ٤١ - ابن المؤيد اليميني، يحيى بن الحسين (ت. بعد ١٦٤٠/١٠٥٠)، أنباء الزمن في أخبار اليمن، القسم الأول، تصحيح محمد عبد الله ماضي، برلين، ولتردي فرويتر وشركاه، ١٩٣٦
- ٤٢ - يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت. ١٦٨٩/١١٠٠)، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، قسمان، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، دار الكتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨
- ثانياً: الدراسات والمراجع الثانوية مرتبة حسب التسلسل الأبجدي:**
- أ - العربية:**
- ٤٣ - الأعظمي، محمد حسن، عبقرية الفاطميين، بيروت، دار الحياة، ١٩٦٠
- ٤٤ - البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، جزآن، الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٦

- ٤٥ - تامر، عارف، القرامطة، بيروت، دار الكاتب العربي، لا.ت.
- ٤٦ - تاريخ الاسماعيلية، ٤ أجزاء، لندن، رياض الرئيس للكتب والنشر، ١٩٩١.
- ٤٧ - الحبشي، عبد الله محمد، مراجع تاريخ اليمن، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٢.
- ٤٨ - حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي، ٤ أجزاء، القاهرة، مطبعة النهضة لمصرية، ١٩٤٦.
- ٤٩ - تاريخ الدولة الفاطمية، طبعة ثانية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨.
- ٥٠ - وشرف، طه أحمد، عبيد الله المهدي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧.
- ٥١ - حسين، محمد كامل، طائفة الاسماعيلية، القاهرة، ١٩٥٩.
- ٥٢ - الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة، ١٩٤٥.
- ٥٣ - سرور، محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٠.
- ٥٤ - سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، ١٩٦٧.
- ٥٥ - شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٤.
- ٥٦ - فخري، أحمد حسين، اليمن ماضيها وحاضرها، القاهرة، معهد لدراسات العربية العالية، ١٩٥٧.
- ٥٧ - العبدلي، أحمد فضل بن علي محسن، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥١هـ.
- ٥٨ - العرشي، حسين بن أحمد، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، نشر انستاس ماري الكرمل، القاهرة، مطبعة البرتيري، ١٩٣٩.

٥٩ - العصامي، عبد الملك حسين بن عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٤ أجزاء، القاهرة، المطبعة السلفية، لا.ت.

٦٠ - غالب، مصطفى، أعلام الاسماعيلية، بيزوت، دار اليقظة لعربية، ١٩٦٤،

٦١ - تاريخ الدعوة للاسماعيلية، الطبعة الثانية، بيروت، دار الاندلس، ١٩٦٥،

٦٢ - محمود، حسن سليمان، تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي، بغداد، ١٩٦٩،

٦٣ - الواسعي اليماني، عبد الواسع بن يحيى، تاريخ اليمن، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٤٦هـ.

٦٤ - الهمداني، حسين بن فيض الله، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٥،

٦٥ - في نسب الخلفاء الفاطميين، القاهرة، الجامعة الامريكية في القاهرة، معهد الدراسات الشرقية، ١٩٥٨،

٦٦ - أبو خليل، شوقي، أطلس التاريخ العربي، طبعة ثالثة، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٥،

٦٧- مؤتس، حسين، أطلس التاريخ الاسلامي، القاهرة، ١٩٨٧،

ب - الأجنبية:

68 - Brockelmann, Carl, History of the Islamic Peoples, trans. by J.Carmichael & M.Perlmann, Newyork, G.P. Putnam, & Sons, 1947.

69- Daftary, Farhad, The Ismailis: Their History and Doctrines, London, Cambridge University Press, 1992.

- 70- AL - Hamdani, Abbas ibn Hussein, The Beginnigs of the
Ismaili Dawa in Northern India, Cairo, 1956.
- 71 - The Ismaili Society, Collectanea, vol. I, Leiden, Brill,
1948
- 72 - Ivanow, W. Studies in Early Persian Ismailism, znd.
Rev. ed, Bombay, The Ismaili Society, 1955.
- 73 - , Ibn al - Qaddah , znd.Rev.ed, Bombay, 1957.
- 74 - , Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids,
London, oxford University Press, 1942.
- 75 - Lane - Poole, Stanely , A History of Egypt in The
Middle Ages, 4 th . ed, Dubbin, Frank Cassx COM. ,
1968.
- 76 -Lewis, Bernard, The Origines of Ismailism, Cambridge,
W.Heffer X Sons Ltd, 1940.
- 77- Mamour, Prince H.,Polemics on the origin of the Fatimi
Caliphs, London, 1934.
- 78 - Muir, Sirwilliam, The Caliphate: its Rise, Decline, and
Fall, Beirut, Khayats, 1963

ثالثاً: المقالات:

آ - العربية:

- ٧٩ - مشرف، عطية مصطفى، أحسب الدولة الفاطمية. المقتطف (القاهرة،
يناير- مايو ١٩٦٦) مجلد ١٠٨، ص ٥٦ - ٥٩.

ب - الاجنبية:

80 - Hart, J. Smiley, Basic Chronology fer History of the yemen
The Middle East Journal (washington) ,1963 vol. ,17 PP. 144
- 1530

81 - Margoliouth, D.S., Fatimids. Encyclopaedia Britannica,
11 theed., (Newyork,1910) , vol. ,10 PP. 302 - 304

82 - Robertson, William, San,a Past and Present. The Moslem
World (Connecticut, 1943), vol. ,33PP.52 - 57

83 - Strothmann, R., San,a. Encyclopaedia of Islam)Leyden,
1934(, vol.,4 PP.143 - 146

84 - Walker,J., al - Mahdi Ubaid Allah. Encyclopaedia of
Islam (Leyden, 1936), vol ,3 PP. 119 - 1210

الفهارس

فهرس الاعلام

(آ)

- ابراهيم بن زياد ٩٣ .
 - ابراهيم بن عبد الحميد ٩٣ .
 - ابراهيم بن موسى (العلوي) ١٨ .
 - أحمد الرازي (أبو العباس) ١٠ .
 - أحمد بن الله بن خليل ٥٥ ، ٥٦ .
 - أحمد بن علي (القاضي) ١٦ .
 - اسحق بن ابراهيم الزياتي ٦٦ .
 - اسحق بن يحيى بن جرير ١٠ .
 - أسعد بن أبي يعفر ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .
 - ابن زياد = الزياتيون = الزيادة ١٨ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٨٦ ، ٩٤ .
- ١٠٦ .
- ابن أبي العرجاء ٩٣ .
 - ابن الأثير ٣٢ .
 - ابن خلدون ٣٢ ، ٣٤ ، ٥١ .
 - ابن حوشب = أبو القاسم الحسين بن فرج = منصور اليمن = رستم بن الحسين ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٨ - ٥٥ ، ٥٦ .
 - ٦٣ ، ٧٩ - ٨١ ، ٨٢ - ٨٨ ، ٩٠ - ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ - ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .
- ١٠٧ .
- ابن رحيم (هرون) ٩٣ .

- ابن الأشجع (يوسف) ٩٣.
- ابن أبي العلاء ٦٠، ٦٣.
- ابن طباطب = يحيى بن الحسين بن القاسم = الهادي إلى الحق = الزيدية =
الزيديون ٩، ١٠، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٨٨، ٩٤، ١٠٥، ١٠٧.
- ابن طفيل ٩٣.
- الأمر بالله (ال خليفة) ٩٧.
- آل محمد ٥٨.
- الأعظمي (المورخ) ٨٨.
- أبو بكر (ال خليفة) ١٧.
- أبي الفوارس (الداعي) ٢٠.
- أبو الجيش (الزيادي) ٢٢.
- أبو سعيد الجنابي ٣٤، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١٠٧.
- أبو سفيان (الداعي) ٦٢.
- أبو عبد الله الشيعي (الداعي) ٦٢، ١٠٧.
- ايفنانوف ٣٦، ٩٧.

(ب)

- باذان ١٦.
- بروكلمان ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢.
- بسر بن أرطاة ١٧.
- البراء بن عازب ١٦.
- البراء بن وفيد العزري ١٧.

- بني أمية (الأمويين) ١٧، ١٨، ١٠٥.
- بني العباس (العباسيون) ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣٤، ٣٦، ٥٤، ٦٥، ٦٦، ٨٨، ١٠٥، ١٠٦.
- بني العرجي ٥٨.
- بني جيش ٨٨.
- بني موسى ٥١، ٥٥.
- بني هاشم ٨٠.
- بني يعرب ٨٠.
- البهاء الجندي ١٠، ٣٤، ٥١، ٩٠.
- البكري ٢٢.

(ج)

- الجعدي ١٦.
- جعفر بن أحمد بن عباس ٩٣.
- جعفر بن منصور اليمن ٣٢، ٣٦، ٩٣، ٩٤، ٩٧.
- جعفر المناخي ٦٣، ٦٤، ٨٦.

(ح)

- الحاكم بأمر الله (الامام الخليفة) ٩٣.
- حسن ابراهيم حسن ٣٢، ٨٤.
- حسن بن محمد بن أبي الملاحق الصنعاني ٨٨.
- الحسين بن علي (الامام) ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٥١، ٥٢.

- الحسين بن أحمد (الامام المستور) = رضي الدين عبد الله ٧، ٨، ١٦،
٢١، ٢٧، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦،
٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٨٠، ٨٥، ١٠٦، ١٠٧.
- الحسن بن منصور اليمن ٣٢، ٩٢، ٩٣، ٩٤.
- الحمادي اليماني (المورخ) ٩، ١٠، ٢١، ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٥١، ٥٦، ٦٢،
٦٣، ٨٣، ٨٦، ٨٩.
- حمدان قرمط ٢٠.
- حمير ٢٢.
- الخوالي (اليعفري) ٢٣، ٥٥، ٦١.
- الحلواني ٦٢.
- الحاجب جعفر ٨١، ٩٠.

(خ)

- خالد بن الوليد ١٦.
- الخزرجي (المورخ) ٨٩.
- الخطاب ٣٣.
- حنفر بن سبأ ٥١.

(د)

- الدواداري (المورخ) ٢٠، ٥٢.
- الدفتري (فرهاد) ١١، ٣٤.

(ذ)

- ذي جدن ٥١.

(ر)

- رستم بن الحسين = ابن حوشب.

(ز)

- زادان ٣٤.

- زيد بن علي ١٨.

(س)

- سبأ ٢٢، ٦٢.

- سبأ صهيب ٥١.

- سليمان الزواحي ٩٣.

- السيوطي ١٨.

(ش)

- الشرفي ٩، ٦٥.

- شترطمان ٩٧.

(ص)

- الصناديقي ٢٠، ٢١.

- الصليحيون ١٠، ١١، ٥٦.

(ط)

- الطبري ١٦، ٦٥، ١٠٥.

- الطيب بن الأمر. ٩٧.

(ظ)

- الظاهر لاعزاز دين الله (الامام الخليفة) ٩٣.

(ع)

- عبدان القرمطي ٢٠.

- عبد الله السلال ٢٠.

- عارف تامر ١٣، ٢٠، ٨٤.

- عثمان (الخليفة) ١٧.

- العزيز بالله (الامام الخليفة) ٩٣.

- العصامي (المورخ) ٨٧.

- العمري (المورخ) ١٩.

- عماد الدين إدريس (الداعي المورخ) ٨، ٩، ١٧، ٣٢، ٣٨، ٨١، ٨٧.

٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٧.

- عمر بن الخطاب ١٧.

- عقيل بن أبي طالب ٣٤، ١٠٦.

- عبد الله بن عباس الشاوري ٦٢، ٩٢، ٩٣، ٩٤.

- عبيد بن ميمون = محمد المهدي (الامام الخليفة).

- علي بن أبي طالب ١٦، ١٧، ٥٤، ٩٧، ١٠٥.
- علي بن محمد الصليحي ٩٢، ٩٤.
- علي بن الفضل = ابن الفضل ١٠، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٢، ٣٦ - ٣٨، ٥٠، ٥٦، ٥٧، ٥٩ - ٦٠، ٦٢، ٦٦، ٧٩ - ٩١، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧.

(ف)

- الفأفأ (بن علي بن الفضل) ٩٠.
- الفهري ٣٩.
- فيروز (داعي الدعاة) ٨٠ - ٨٢، ٨٣ - ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٠، ١٠٧.

(ق)

- قبائل زبيد ٦٣.
- قبائل مزحج ٦٣.
- قبائل همدان ١٦، ٥٨، ٩٢، ١٠٥.
- القائم بأمر الله (الامام الخليفة) ٣٢، ٨١، ٩٤.
- القرامطة = الحركة ١١، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٣٦، ٦٣، ٨٤ - ٨٦، ٨٨، ١٠٧.

(ك)

- كراوس ٩٧.
- كسرى ١٦.
- كنانة ١٦.
- الكرندي ٨٦.

(م)

- محمد الحبيب ٥١.
- محمد الحسن العسكري ٣٩.
- مسلم بن عقيل بن أبي طالب ٣٤.
- محمد بن درهم الجنابي ٨٨.
- معاوية ١٧، ١٠٥.
- المعز بن المنصور (الامام الخليفة) ٣٢، ٩٣، ٩٧.
- المعتصم (الخليفة) ٢٣.
- المنصور بن القائم (الامام الخليفة) ٣٢، ٩٦.
- المأمون (الخليفة) ١٨، ٢٢، ٢٥، ١٠٥.
- المقرئ (المؤرخ) ١٠، ٢٠، ٢١، ٣٢، ٥١.
- مهلب الشهابي ٦٥.
- المهدي (المنتظر) ٢١، ٣٩، ٤٨، ٥٥، ٥٨.
- المهدي (الامام محمد = عبيد الله) ٧، ٩، ٢٦، ٣٦، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٦١.
- ٦٢، ٦٦، ٧٩ - ٨١، ٨٣ - ٨٦، ٨٦، ٨٩، ٩١، ١٠٧.
- ميمون القداح ٣٨، ٥٢، ٨٦.
- مخلد بن كيداد (أبو يزيد) ٩٤، ٩٥.

(ن)

- النجار ٢٠.
- نشوان الحميري ١٧.
- النعمان (القاضي) ٧، ٩، ٣٢ - ٣٤، ٣٧ - ٣٨، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٦٠، ٦٢، ٨٠، ٨١، ٨٧، ٩٧.
- النجاشيون = بني نجات ٩٤.

(هـ)

- هرثمة بن بشر ٢٣.
- الهمداني (المورخ) ١٧، ٣٢، ٥٨، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٩٠.
- الهيثم (ابن أخي منصور اليمن) ٦٢.

(ي)

- يحيى بن الحسين (المورخ) ١٠، ٣٨، ٨٢، ٨٨.
 - اليعفرين = بني يعفر ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٥٧، ٦٢، ٦٤، ٩٤.
- ١٠٥

فهرس الأماكن

(أ)

- أبين ،٦٠ ،٦٣ .
- أفريقية ،٦٢ ،٨٠ ،٨١ ،٩٤ .
- الموت ١٤٠ .

(ب)

- البحرين ،٢٥ ،٦٢ ،١٠٧ .
- البصرة ٢٠ .
- بغداد ١٨ ،٢١ ،٢٢ ،٢٣ ،٢٥ ،٢٦ ،٦٥ ،٦٦ ،٨٩ ،١٠٥ .
- بلاد البيضاء ٥٨ .
- بلاد يافع ٥٥ .
- بيت ريب ٦٢ .

(ت)

- تهامة ،٦٥ ،٨٢ .

(ج)

- جبل الجعينة ،٦١ ،٨٦ .
- الجند ٥٥ ،٦٣ ،٩٤ .
- جيشان ٢٦ ،٥١ ،٥٦ .

(ح)

- الحجاز ١٩.
- حصن حرّان ٦٤.
- حصن فاير ٦١.
- حماه ١٠٦.
- حمص ٥١.

(د)

- دمشق ١٨، ١٠٥.

(ذ)

- ذمار ٦٤.
- ذي عسب ٩٣.

(ر)

- الرس ٢١.

(ز)

- زياد ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٦٠، ٦٥، ٦٦، ٨٣، ٩٤، ١٠٥.

(س)

- سرو يافع ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦٣.
- سواد العراق ١٠٧.
- سلمية ٧، ٣٦، ٤٠، ٥١، ٥٢، ٦٣، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ١٠٦، ١٠٧.
- السند ٦٢، ٧٩.

(ش)

- الشام ١٧، ١٨، ٢٠، ٨٠.
- شبام ٦٢، ٦٥، ٨٦.
- شبام حمير ٩٣.

(ص)

- صعده ١٩، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٦٦، ٨٨، ٩٤، ١٠٧.
- صفين ١٧، ١٠٥.
- صنعاء ١٩، ٢٢، ٢٣-٢٦، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦٠-٦١، ٦٢، ٦٤-٦٥، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ١٠٥.

(ط)

- طبرستان ١٨، ١٩.

(ع)

- عير محرم ٥٨، ٥٩.
- عدن أبين ١٦، ٥٤، ٥٥.

- عدن لاعة ١٦، ٢٦، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦١، ٦٣، ٨٢.

- العراق ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٥.

(غ)

- غلافقة ٥٥.

(ف)

- فارس ١٤٠.

- الفرات ٣٩.

(ق)

- القادسية ٥٤، ٥٥.

- القطيف ٢٠.

(ك)

- كربلاء ٣٨، ١٠٦.

- كوكبان ٦٢، ٩٣.

- الكوفة ٢٠، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٨، ١٠٦.

(ل)

- الحج ٦٣.

(م)

- مخاليف المغرب ٥٨.

- مخلاف أردان ٥٨.
- مخلاف حجة ٥٨.
- مخلاف عيان ٥٨.
- مخلاف لاعة ٥٨.
- مخلاف جعفر ٨٦، ٩٠.
- المدينة المنورة ١٨، ٢٥.
- المذبحرة ٥٧، ٦٠، ٦٣، ٨٠، ٨٧، ٩٠.
- مسور ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٨٧، ٩٣.
- مصر ١١، ١٧.
- المغرب ٧، ١٤٠.
- مكة ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٨٨، ١٠٦.
- منكت ٦٤.
- المهدية ٩٤.

(ن)

- نجران ١٩.
- نقييل صيد ٨٩.

(هـ)

- الهند ٦٢.

(و)

- وادي السحول ٩٠.

(ي)

- يصب ٦٤.

- بماء ٦٢، ٧٩.

- اليمن وقد وردت في معظم صفحات هذه الدراسة.

الفهارس

المحتويات	الصفحة
تصدير.....	٥٠
مقدمة.....	٧
الفصل الأول: اليمن والحركات الشيعية قبيل ظهور ابن حوشب.....	١٥
١- دخول الاسلام الى اليمن.....	١٥
٢- الحركات الشيعية الأولى في اليمن.....	١٨
أ - الدعوة الزيدية.....	١٨
ب - الدعوة القرمطية.....	٢٠
٣- نشوء الدويلات المستقلة.....	٢٢
أ - الدولة الزيدية.....	٢٢
ب - الدولة اليعفرية.....	٢٣
٤- الحالة العامة في اليمن وقت ظهور ابن حوشب.....	٢٤
الفصل الثاني: شخصية ابن حوشب واعتناقه للإسماعيلية.....	٣١
١- نشأة ابن حوشب حتى اعتناقه للإسماعيلية.....	٣١
أ - اسمه وأصله.....	٣١
ب - نشأته وعلومه.....	٣٤
٢- تحول ابن حوشب الى المذهب الاسماعيلي.....	٣٦
الفصل الثالث: دعوة ابن حوشب في اليمن.....	٤٩
١- تهية ابن حوشب للقيام بالدعوة.....	٤٩
أ - علي بن الفضل وتحوله الى الاسماعيلية.....	٥٠

المحتويات	الصفحة
ب - التحضير للدعوة والرحلة الى اليمن	٥٣
٢- مراحل الدعوة.....	٥٦
أ - الدور السلمي.....	٥٧
ب - الدور الحربي.....	٦٠
١- نشاط ابن حوشب الحربي.....	٦١
٢- نشاط ابن الفضل الحربي.....	٦٣
الفصل الرابع: ثورة ابن الفضل على ابن حوشب ونهاية الح ٢ الفاطمية..	٩
١- دوافع الثورة.....	١٠
٢- الصراع بين ابن حوشب وابن الفضل.....	١١
٣- أعمال ابن الفضل ونهاية الحركة الفاطمية في اليمن.	١٢
٤- الحركة الفاطمية في اليمن بعد ابن حوشب.....	١٣
٥- جعفر بن منصور اليمن.....	١٤
ملاحظات ختامية.....	١٥
المصادر والمراجع.....	١٩
الفهارس.....	٢١
- فهرس الاعلام.....	٢٣
- فهرس الأماكن.....	٣٣

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق ص.ب: 6348

6316350 ☎

